

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	رجب المرجب ١٤٣٢ ھ
العدد السادس	يونيو ٢٠١١ م

المشرف العام

عبد اللّه سعود بن عبد الوحيد

رئيس التحرير

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـــة بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج

(٤)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

المبحث الثالث

نتائج هذه الرعاية على الدولة وعلى الشعب

إن من بركات اتخاذ الشريعة مصدر التلقي في الدولة تلاحم الراعي مع الرعية واتجاه الجميع إلى وجهة واحدة، والشعوب المسلمة مهما انحرفت عن السبيل القويم لكنها تحب دينه وتطمئن إليه ولا تبغي به بدلا أبدا، والأنظمة المستوردة للحكم من هنا وهناك مرفوضة لديها بتاتا، وهي لاتتحاكم إليها في الدول التي لاتجد فيها غيرها إلا وهي كارهة لها مكرهة عليها، ونراها في صراع مستمر مع قادة هذه الأنظمة، وهذا يؤدي إلى اضطراب الأوضاع السياسية والأمنية في تلك البلاد بين حين وآخر، ولا يخفى أن عدم استقرار أوضاع البلاد يؤثر سلبيا على النهضة والتطور ويسيئ إلى سمعة البلاد.

وقد حفظ الله دولة التوحيد من كل ذلك، فالرعية مرتاحة بالاحتكام إلى الشريعة، وهي ترى الولاة يسعون لتحكيم شرع الله في البلاد، ويكرمون العلماء وأهل الدين، وينزلونهم مكانتهم، ويعرفون قدرهم، والرعية أيضا تحب علماءها وتقر بفضلهم وتقدمهم، وترجع إليهم في شؤون دينها ودنياها، وتصغي إلى توجيهاتهم ونصائحهم، وتبادر إلى تنفيذ أوامرهم وقرارتهم. وذلك لأنها ترى في طاعتهم طاعة الله ورسوله، لأنهم مبلغون عن الله ورسوله. فثقة الدولة في علمائها ورعايتها لهم تزيد في ثقة الرعية بهؤلاء العلماء، فالولاة والعلماء والعامة علاقة بعضهم مع بعض علاقة المودة والوئام، كل ينظر إلى غيره نظرة التقدير والاحترام، والكل يقوم بدوره في استقرار الأمور وتهدئة الأوضاع.

يقول الدكتور منير العجلاني:

"والخلاصة فإننا نضع علماء الدين وفي مقدمتهم آل الشيخ في طليعة القوى الموجهة في الدولة إلى جانب الأمراء. ونعترف لهم بفضلهم ومساهتهم في استقرارالأمورفي المملكة...".[١]

[١] تاريخ المملكة في سيرة زعيم فيصل.. للعجلاني، ص:٩

وفي مقال له منشور في الصحف السعودية بعنوان "الجهود العلمية في المملكة لمكافحة الغلو" قام الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل، بإبراز الجهود العلمية المبذولة لصد الانحراف الفكري والعقدي والسلوكي والغلو والتطرف، فذكر منها:

١- جهود هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.
٢- جهود الجامعات والعلماء وأساتذة الجامعات.
٣-جهود وزارة الشؤون الإسلامية، ورئاسة الهيئات وأجهزة التوجيه.
٤- جهود وزارة الثقافة والإعلام.

وقد فصل القول تحت كل هذه النقاط، وذكر الوسائل والطرق التي اتخذها الجهات المذكورة لمكافحة الغلو والتشدد، إلى أن قال:

"والمقصود أن الجهود العلمية المبذولة في المملكة العربية السعودية في مكافحة الغلو والتشدد والعنف والإرهاب المذموم طالت أصعدة شتى وجهات حكومية ومؤسسية وشعبية عديدة من خلال التوجيه والإرشاد والتحذير من هذه العقيدة الضالة بهذا الفكر المنحرف عن الحق والعدل والقسط ووسطية الإسلام عقيدة وشريعة، وأيضا من خلال البحث عن الأسباب والجذور والبواعث لهذه الأفكار وردود أفعالها. ولكن الملاحظ أن المنحى البارز في تركيز هاتيكم الجهود العلمية والدعوية المبذولة هو في الجانب الديني من خلال الوعظ ومن خلال الطرح العلمي الرصين المتميز والمعتدل، حيث ثقة الدولة والرعية والوافدين في الدين والعلماء قوية ومؤثرة. وقد أمكن توظيف هذا الجانب مما عكس وحدة الصف من العلماء والمشايخ مع جهود الدولة في المملكة العربية السعودية في محاربة ومعالجة هذه الظواهر."

الفصل الثاني

رعاية المملكة للعلماء المسلمين من الخارج

امتدت عناية المملكة العربية السعودية بالعلماء لتشمل علماء المسلمين في كافة أنحاء العالم، فتكرمهم إكراما وتنزلهم منزلة قد لا ينزلهم إياها حكام تلك البلاد التي ينتمون إليها. وهذه العناية تتخذ أشكالا شتى ومظاهر متعددة كلها تدل على إخلاص القادة وعلى حبهم للدين والعلم وأهلهما، وعلى تمسكهم بتعاليم الدين الحنيف.

وإني أود أن أورد نماذج واقعية لرعاية المملكة لعلماء شبه القارة الهندية - بحكم انتمائي إليها - وأفصل الكلام حولها. ولكن يحسن بي أن أتحدث أولا عن رعاية المملكة

لعلماء العالم على وجه العموم، ثم آتي إلى الجزء المشار إليه، وبعد ذلك ألقي بعض الأضواء على نتائج هذه الرعاية على العلماء أنفسهم وعلى مسلمي بلادهم. وهكذا ينحصر الكلام في أربعة مباحث:

المبحث الأول

رعاية المملكة للعلماء المسلمين في العالم – على وجه العموم – ومظاهرها

إن من حقوق الرعية على ولاتها أن تنال من عنايتهم ورعايتهم وتحصل على عطفهم وكرمهم، وإذا قام الولاة بأداء هذه الحقوق إلى رعيتهم على الوجه المرضي فهو واجبهم تجاهها، ولا أحد يستغرب منهم هذا العمل، أما أن تمتد عناية دولة ما إلى خارج حدود أراضيها وتشمل من ليست هي المسؤولة عنهم، فهذا –لا شك- يتعجب منه ويستغرب، ويعد ذلك من مفاخر تلك الدولة ومن مكارم ولاتها.

يقول الدكتور مقتدى حسن الأزهري، رئيس الجامعة السلفية بالهند في مقال له بعنوان: "جهود المملكة في تنشيط التعليم الإسلامي والدعوة إلى الله بالهند":

"تمتاز أغلبية الدول بالعناية بشعبها والعمل لخيره وصلاحه، ولكن القليل منها يمتد تفكيرها إلى الإخوة المسلمين في العالم، الذين يحتاجون إلى مساعدة إخوانهم في الدين، وينتظرون من أصحاب الرأفة والحمية أن يقفوا معهم تمسكا بقول الله جل وعلا: (إنما المؤمنون إخوة -الحجرات:١٠)

إن المملكة المحروسة وفقت من الله تعالى للوقوف إلى جانب المسلمين في العالم، فضربت أمثلة رائعة للدعم والتعاون، وللمواساة والإيثار للأمة الإسلامية التي تنشر في أرجاء الأرض، وكذلك للمساهمة في أعمال الخير وتنشيط الحركة التعليمية والحضارية، حتى زادت مآثرها على الحصر....." .[١]

ويقول أيضاً:

"إن الدول كثيرة، ولديها دعاوي عريضة بصدد تحقيق مصالح البشر، ولكن الواقع لا يصدق هذه الدعاوي، والشعوب لا تزال تعاني أنواعا من البؤس والحرمان والفقر والمرض والظلم والاضطهاد، وتمتاز الدولة السعودية بين هذه الدول بسمو في التفكير، وجدية في العمل، وشمول في الأهداف، فتفكيرها ليس قاصرا على بلدها وشعبها، بل يمتد إلى المسلمين

[١] مجله صوت الأمة، ذو الحجة، محرم٢٠-١٤١٩هص:٧٤

في العالم، وإلى الكتلة البشرية المنتشرة في أقطار الأرض كلها، وهذا السمو في التفكير أصيل في الدولة السعودية، وأمثلته كثيرة في تاريخها المجيد قبل تأسيس المملكة وبعده......".[1]

إن المملكة المحروسة وقفت من علماء مشارق الأرض ومغاربها مواقف مشرفة قد لا تقفها أنظمة تلك البلاد من علماء وطنها. فاحتفت بهم وأولت عنايتها بهم وعاملتهم معاملة كريمة رفعت من شأنهم في مجتمعاتهم وفي المجتمع الإسلامي العالمي، ولم تترك فرصة من فرص تكريمهم إلا واغتنمتها. ومن مظاهر تكريمها إياهم:

(أ) تكريمهم باستقدامهم واستضافتهم على أراضي بلادها.

(ب) تكريمها لهم وهم في بلادهم.

أما تكريمها لهم باستقدامهم إلى أرض المملكة بمناسبات ومواقع مختلفة فمن مظاهره:

(أ) إنقاذ المضطهدين منهم في بلادهم واستقدامهم إلى أرض المملكة:

فقد سبق أن ذكرنا أن الدول التي لا تتحاكم إلى شرع الله تعامل مع علمائها معاملة غير عادلة. وقد تشتد عليهم فتزج بهم في السبحون وتمارس معهم ألوانا من التعذيب والتنكيل تقشعر منها الجلود، بل ولا تتردد في تنفيذ حكم الإعدام عليهم.

والمملكة قد وهبها الله مكانة دينية واقتصادية وسياسية, فالدول الإسلامية الأخرى بل وحتى الدول الأجنبية تحترمها وتسعى لكسب رضاولاتها، وتنصت إلى آرائها ومقترحاتها، وأنباء اضطهاد المسلمين في بلادهم تقلق علماء المملكة وولاتها، فكيف لا تقلقهم أنباء اضطهادالعلماء. فمثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد, إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.[2]

مئات من العلماء الكبار الأفاضل كانوا يعيشون في بلادهم مغلوبين على أمورهم، مضطهدين من حكوماتهم، سعت دولة التوحيد لإنقاذهم من براثن الظلم والاستبداد، ثم فتحت لهم أبواب جامعاتها ومدارسها ومؤسساتها ليقوموا فيها بأداء دورهم في مجال العلم والدعوة، ويتبوؤا مناصب عالية، ويعيشوا عيشة كريمة لا يتصور أن يعيشوها في بلادهم. والمطلع على أوضاع الجامعات والمدارس والمؤسسات الأخرى في المملكة يدرك بهذه الحقيقة ويحتفظ بالأمثلة الكثيرة على ذلك.

---

[1] المرجع نفسه ص:٧٦

[2] صحيح البخاري:٦٠١١, صحيح مسلم:٦٥٨٦

ومما يذكر في هذا المجال من النماذج الواقعية الكثيرة ما حكى به الشيخ عبدالله محمد المعتاز أن أحد الإخوة أبلغه أن بعض أبرز الدعاة في الصومال وهم من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وممن لهم نشاط دعوي مميز، سينفذ فيهم حكم الإعدام غدا، فأخبر الشيخ المعتاز الشيخ ابن باز رحمه الله بذلك الخبر، وكان الوقت الساعة الثانية عشرة ليلا، فقام الشيخ بالاتصال بأعلى جهة في الدولة، ثم وجد أحد المسؤولين الكبار، وشرح له الوضع كاملا، وطلب منه التدخل في أقرب وقت ممكن لعدم إقامة مثل هذا الأمر أي الإعدام (يقول الشيخ المعتاز:)

وما انبلج الصباح إلا وجاءتنا الأخبار الأكيدة بإسطلاق سراح الدعاة وإخلاء سبيلهم، فما كان من سماحته إلا أن دعاهم على حسابه الخاص للعمرة وزيارة المسجد النبوي، واستضافهم، وفرح جدا برؤيتهم سالمين، وحمدالله على ذلك.[1]

إنه – ولا شك – من نوادر الأمثلة على تقدير المملكة لعلمائها المواطنين من ناحية، ومن ناحية أخرى على رعاية المملكة للعلماء المسلمين في أقطار العالم.

(ب) استضافتهم لأداء مناسك الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي:

تقوم المملكة بتوجيه دعوة لأداء مناسك الحج والعمرة سنويا إلي كبار العلماء وقادة الفكر الإسلامي في دول العالم باستضافة من ولاة الأمر، وتوفر لهم الجهات المعنية في الدولة كل وسائل الراحة، فتؤمن لهم وسائل نقل مريحة طيلة بقائهم في المملكة، كما تقوم بإسكانهم في فنادق كبيرة حيث يجدون كافة التسهيلات متوفرة وميسورة، فيؤدون فريضة الحج متمتعين بكل أسباب الراحة والطمانينة، وتسنح لهم فرصة اللقاء مع كبار رجال الدولة ومع العلماء والمشايخ، حيث يقومون بتبادل الآراء معهم حول القضايا الإسلامية وتقديم مقترحاتهم تجاهها.

(ج) استقدامهم للعلاج:

قد بلغ من عناية المملكة بعلماء العالم أنها تعني بالاطلاع على سير أعمالهم وما يقومون به من خدمات للإسلام والمسلمين والإنسانية في بلادهم، فيسرها ما يسرهم ويسوءها ما يسوءهم، ويؤلمها ما يؤلمهم، وعند سماع الأنباء المحزنة عنهم تتحرك لإخراجهم مما أصابهم، حتى ولو باستقدامهم إلى أرضها على حسابها.

---

[1] الدرر الذهبية من عيون القصص البازية، ص: ٥٣-٥٤

ومن المواقف المشرفة للمملكة في هذا الباب موقفها من واقعة إصابة العلامة إحسان إلهي ظهير، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأحد أبرز علماء باكستان، و ذلک أنه أصيب - رحمه الله - بجروح خطيرة بعد انفجار قنبلة في الحفل الذي كان يلقي فيه محاضرة في إحدى مدن باكستانية، وذلک في أواخر شهر مارس عام ١٩٨٧م. ذاع الخبر في العالم، وأقلق محبي العلم والدين والدعوة، والعلامة كان معروفا في الأوساط العلمية والدعوية بجهوده المضنية في خدمة الإسلام، وعلماء المملكة وولاتها يقدرونه حق قدره ويسرون بنجاحه في مجال الدعوة والإرشاد، وكان خادم الحرمين الشريفين الملک فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في ذلک الوقت في سفر إلى بريطانيا، وما أن وصل إليه الخبر حتى كلف مسؤولي السفارة السعودية في باكستان بعرض دعوة المملكة العربية السعودية لنقل العلامة إحسان إلى الرياض وتحملها كافة مصاريف العلاج.

حظيت الدعوة بالقبول لدى أسرة العلامة، ونقل العلامة الجريح مع أسرته بواسطة طائرة سعودية خاصة إلى الرياض، وأدخل في أرقى مستشفياتها، وهنا بذل مهرة الأطباء كل جهودهم لإنقاذ حياته، ولكن:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فارق العلامة الحياة في صبيحة ٣٠/مارس ١٩٨٧م وصلي عليه في الرياض أولا، ثم نقل جثمانه إلى المدينة النبوية وصلي عليه في المسجد النبوي، ودفن في البقيع. رحمه الله رحمة واسعة.[١]

(يتبع)

***

[١] انظر: علامه إحسان إلهي ظهير: ايک عهد ايک تحريک، للقاضي محمد أسلم سيف فيروزفوري، ص: ٣٨٨-٣٩١.

التوجيه الإسلامي

العقل مستقيما ومنحرفا

د. مقتدى حسن الأزهري رحمه الله

إن كلمة العقل تستعمل في اللغة لمعان عديدة، والمناسبة بينها ظاهرة أو خفية. ومن هذه المعاني أن العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان.

وسبب هذه التسمية أن العقل يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه.

والعاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها.

وكذلك فسر العقل بأنه التثبت في الأمور.

والبيان المذكور لمعنى العقل يدلنا على أنه هو الفارق بين الانسان وبين سائر الحيوان، وأنه يبعد الانسان عن المهالك وينقذه من الخسران وينجيه من الخزي والندم، وذلك بحمله على اتباع هداية الله تعالى وبإرشاده إلى سبيل الحق والخير وإلى مخالفة الهوى والانحراف.

وقد وردت كلمة العقل بصيغها المختلفة في (٤٩) موضعا من القرآن الكريم، وهي في هذه الصور والأشكال توحي بأن العقل منحة ربانية عظيمة أكرم الله تعالى بها الإنسان، وتدعو إلى التفكر في الكون وفي شؤون الحياة للوصول إلى الهداية الربانية، أو تنعى على الذين يهملون استخدام هذه الموهبة العظيمة ويأتون بأعمال تشين منزلة الإنسان في الكون وتنحدر به إلى الدرك الأسفل، أو تثني على الذين ينتفعون بموهبة العقل ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويستدلون بذلك على القدرة الإلهية وعلى حاكميته المطلقة وعلى كون دينه حقا وعدلا ورحمة.

ومع أن العقل لا يكفي في أمر هداية الإنسان، وأنه لا يستطيع أن يقوم بتوجيهه في شؤون الحياة المتطورة بل لابد من الاستناد إلى شريعة الله المطهرة، ولكن مع ذلك لا ينكر دوره في توجيه الإنسان، وخاصة إذا كان سليما، وفي حمله على وجوه الخير وأعمال البر والتقوى. وهذا يبين لنا خطأ الذين زعموا أن الدين قد جاء بما ينافي العقل أو أنه يفرض أحكاما وأصولا لا يستسيغها العقل، وأن العقل إذا ترك حرا فإنه لا يقبل الدين ولا يتقيد بأحكامه وآدابه.

وفي القديم نرى محاولات من أهل الزيغ في سبيل الصد عن سبيل الله والتمسك بشريعته الحكيمة، ولكنها ذهبت أدراج الرياح بجهود العلماء المخلصين، ورفضها العقلاء أصحاب الفطر السليمة، لأنها كانت مبنية على الغرض والهوى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومنها: ظنهم أن ما عارضوا به السمع معلوم بالعقل، ويكونون غالطين في ذلك، فإنه إذا وزن بالميزان الصحيح وجد ما يعارض الكتاب والسنة من المجهولات لا من المعقولات".

والعقل إذا أريد به معنى فهم الدين والتمسك به فإنه يفضل العلم ويفوقه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(وإن أريد بالعقل أن يعقل العبد أمره ونهيه، فيفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، فهذا العقل يدخل صاحبه به الجنة، وهو أفضل من العلم الذي لا يدخل صاحبه به الجنة كمن يعلم ولا يعمل.)

والعقل إذا كان سليما فإنه لا بد أن يهدي صاحبه إلى الحق، ويرشده إلى الإيمان بما قرره الشرع وأمر به، والإنسان العاقل إذا كان يقظا متفطنا فإنه يهتدي إلى الشريعة، ولذا قرر العلماء أن الحجة العقلية الصريحة لا تناقض الحجة الشرعية الصحيحة، بل يمتنع تعارض الحجج الصحيحة سواء كانت عقلية أو سمعية، أو سمعية وعقلية.

ونذكر فيما يلي بعض الآيات حتى يتبين لنا منزلة العقل السليم في الإسلام، وأن الإنسان كيف يستخدمه حتى ينتفع به، وكيف أن القرآن ندد بالذين يسيئون استخدام العقل ويأتون بما ينافيه من الأعمال:

إن الله تعالى أكرم الانسان بالعقل، وأرسل الرسل وأنزل الكتب والشرائع حتى يفكر الانسان بعقله ويختار سبيل الرشد والهدى، فينجو من خزي الدنيا والآخرة. ولكن القرآن الكريم يحكي لنا أن الإنسان لا ينتفع بعقله في الدنيا ولا يستعد للآخرة، بل إنه يتمادى في غيه، ويسلك سبيل الهوى والشهوات متناسيا أحكام الدين، متلاهيا بالملذات، كافرا بنعم الله التي لا يأتي عليها العد والحصر، وأنه لا يتذكر ولا يتعظ في الدنيا حيث تنفعه الذكرى، ولكنه يتذكر في الآخرة، ويحاول أن يستجيب بعد فوات الأوان، وهناك ينسب الخطأ إلى إهماله للعقل وإعراضه عن دعوة الدين وأحكامه، وهكذا حال العصاة المتمردين، لا يندمون إلا

حيث لا ينفع الندم، ولذا وصف القرآن الكريم الإنسان بأنه ظلوم جهول: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير). (الملك:١٠)

إن القرآن الكريم قص علينا قصص الأمم الماضية، وهذه القصص تحمل في ثناياها كثيرا من المواعظ والعبر، وفيها درس وتذكير لمن اطلع عليها، فإن هذه الأمم لما بلغتها الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإلى التمسک بدينه وشريعته لم يستجب لها جميع أفرادها، بل آمن بها البعض وكفر بها الآخر. ومن هنا اختلفت عواقبهم، فقد أفلح المؤمنون وخسر الكافرون. وقد بين لنا القرآن الكريم أن بعض الأمم قد أخذت بالعذاب فانقرضت وصارت مساكنها ومنازلها عبرة للمعتبرين وتذكيرا للغافلين وكل إنسان عاقل إذا فكر في مصير هذه الأمم فانه يتعظ ويعتبر، لأنه تاريخ ذو دروس وعبر: (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون). (الصافات: ١٣٦)

إن الدعاة إلى الحق مطالبون بأن يلتزموا أولا بمبادئ الاسلام وقيمه، ويجسدوها في حياتهم، ثم يقوموا بدعوة الناس إليها، حتى يسهل على الناس الانقياد لشريعة الله والاستجابة لأحكامها وتعاليمها.

ثم إنه من المخجل المؤسف أن يطالب أحد الناس بإتيان وجوه الخير والتحلي بالفضائل، ولكنه بدوره لا يتقيد بقيد ولا يأتمر بأمر.

وهذا الأصل يفهمه الانسان إذ كان متحليا بالعقل، سائرا وفق متطلباته: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون) [البقرة: ٤٤]

الإيمان بالآخرة شعبة مهمة من شعب الإيمان، ولا يستقيم أمر الانسان إلا بالتمسک بهذا المبدأ، وأنه إذا حقق هذا المطلب فلا بد أن يتروى ويتفكر في الأعمال التي يأتي بها في الدنيا. وإذا رسخ في قلبه الإيمان بالآخرة فلا بد أن يختار حياة الصلاح والتقوى، حتى يكون في الآخرة من المفلحين. والعقل إذا كان سليما يحكم بهذا ويؤيده: (وللدار الآخرة خير للذين يتقون، أفلا تعقلون؟) [الأنعام: ٣٢]

أعظم الذنوب وأكبر القبائح هو الشرک، إنه طمس للحقيقة وتشويه للفطرة وظلم للنقل والعقل، ولو استقام ضمير الإنسان وصلح قلبه لما انحدر إلى هذا الحضيض ولذا انددد

الخليل عليه السلام بهذه الجريمة، وقال لقومه: (أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون) [الأنبياء:٦٧]

والإنسان إذا حرم العقل السليم الذي يؤديه إلى الإيمان بالهداية الربانية فانه يفقد كل مزية وينحدر إلى الدرك الأسفل في الخلق: (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون.) [الأنفال:٢٢]

وكذلك يشبه الأنعام إذا اتبع هواه، وينعدم الأمل في هدايته إذا أهمل عقله: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلا؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.) [الفرقان: ٤٣، ٤٤]

والعقل السليم يحمل الإنسان دائما على التقدير العادل، ويسوقه إلى الصراط السوي، ويصونه عن الرذائل والمنكرات، والإنسان الذي فقد هذا العقل فإنه يتسارع إلى الاثم ويتهالك في الأهواء ويتمادى في عصيان الله تعالى إلى أن يجترئ على أحكام دينه فيستخف بها ويستهزئ (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون). [المائدة:٥٨]

وفي عصرنا هذا الذي يمتاز بالتقدم في مجالات البحث والاكتشاف نرى مظاهر عديدة لانحراف العقل الانساني، وهذا الانحراف قد أدى الانسان إلى الكفر والجحود والانحلال والإباحية وممارسة أنواع من الفوضى والفساد بدعاوي مزخرفة ووعود مغسولة، ولكنها ليست إلا كالسراب، إذا جاءه الظمآن لم يجده شيئا.

ولذا أرشد الله عز وجل عباده المؤمنين إلى أن يدعوا الدعاء الذي حكاه عن الراسخين في العلم فقال: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب).

(مجلة الجامعة السلفية: جمادى الأولى ١٤٠٣هـ=مارس ١٩٨٣م)

***

كتاب الله التوراة في كتاب الله القرآن

أمان الله محمد إسماعيل
المدينة المنورة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

التوراة والقرآن كتابان عظيمان أُنزلا على رسولين ونبيين عظيمين من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وكثيرا ما يجمع الله تعالى بين هذين الكتابين الجليلين، الذَين لم يطرق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكرا، ولا أبرك ولا أعظم هدى وبيانا.[1]

وإن التوراة من أعز كتب الله تعالى أنزلها على رسول من أعز رسله، أحدِ أولي العزم من الرسل موسى عليه السلام بواسطة جبريل الأمين عليه السلام، وهي كلام الله تعالى، تكلم به حقيقة، فيها هدى ونور، وحكم الله تعالى، أمر الله بني إسرائيل بالحكم بها والتحاكم إليها، وحَكَم بها النبيون والربانيون والأحبار للذين هادوا، وعلمها عيسى وأقربها وأثبتها.

ولكن اليهود حرفوها وبدلوها وزادوا فيها ونقصوا منها، فما بقي فيها مما لم يُحرف إلا القليل، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الأخير القرآن الكريم في مواضع عديدة، ذكر فيه بعض صفاتها ومحتوياتها ومضامينها، وما فعل اليهود من التحريف والتبديل فيها، وما هي واجبات المسلم تجاهها؟

وهذه هي دراسة موجزة عن ذكر التوراة في القرآن الكريم، اجتهدت في جمع الآيات وتصنيفها وترتيبها ووضعها في مواضعها المناسبة.

ويشتمل الكلام في هذا الموضوع على النقاط الآتية:

أولا: تعريف التوراة.

ثانيا: تعريف القرآن.

ثالثا: ماذكر في القرآن الكريم من أسماء التوراة.

رابعا: ماذكر في القرآن الكريم من صفات التوراة.

خامسا: ماذكر في القرآن الكريم من محتويات التوراة.

سادسا: ماذكر في القرآن الكريم عن تحريف اليهود للتوراة.

---

[1] انظر: تفسير السعدي ص ٥٢٥ مؤسسة الرسالة ط ١

سابعا: ماذكر في القرآن الكريم عن واجبات المسلم تجاه التوراة.

ثامنا: الفرق بين اليهود والمسلمين تجاه أنبياء الله وكتبه المنزلة.

أولا: تعريف التوراة: يشتمل الكلام في بيان تعريف التوراة على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التوراة في اللغة: التوراة في اللغة كلمة عبرانية بمعنى الشريعة والتعليم، وتسمى بكتب موسى، أو الأسفار الخمسة أو الناموس.[1]

المسألة الثانية: تعريف التوراة في اصطلاح اليهود: مادام أن التوراة كتاب اليهود فلا بد من بيان تعريفها عندهم، فتعريف التوراة عندهم: هي الأسفار الخمسة (التكوين، الخروج، اللاوين، العدد، التثنية) التي كتبها موسى عليه السلام.[2]

المسألة الثالثة: تعريف التوراة في اصطلاح المسلمين: التوراة عند المسلمين هي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام فيه الهدى والنور للناس، ولكن اليهود حرفوه وبدلوه، وقد نسخه الله بالقرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين.[3]

ثانيا: تعريف القرآن الكريم:

ويتبين تعريف القرآن من خلال مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف القرآن في اللغة:

إن لفظ القرآن في اللغة على الأصح مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ"[4]، وهو بمعنى الجمع[5].

المسألة الثانية: تعريف القرآن في الاصطلاح: وأما تعريف القرآن في الاصطلاح فهو شبه اتفاق بين العلماء بأنه: كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس، المتحدى بأقصر سورة منه.[6]

---

[1] انظر قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين، القاهرة، ص: ٢٣٥-٣٣٩، وانظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للدكتور سعود الخلف ص: ٥٧

[2] مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١١) ص: ٣٣٣

[3] مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١١) ص: ٣٣٣

[4] سورة القيامة: ١٧-١٨

[5] انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: ٦٦٨، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٥٠-٥١) وانظر للتوسع: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (١/١٤).

[6] انظر: التبيان في علوم القرآن للشيخ محمد على الصابوني ص: ٦، مؤسسة مناهل العرفان بيروت، وكتاب: تاريخ القرآن الكريم للدكتور محمد سالم محيسن.

ثالثا: ما ذكر في القرآن الكريم من أسماء كتاب الله التوراة: التوراة كتاب الله تعالى، لها أسماء كثيرة تدل على شرفها وفضلها، وقد وردت أسماء عديدة للتوراة في القرآن الكريم، منها:

١- التوراة: التوراة هي الاسم الحقيقي للكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام، ولقد ورد هذا الاسم في كتاب الله الأخير القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها:

- يقول تعالى: "نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ".[١]

- ويقول تعالى: "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ".[٢]

- ويقول تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ".[٣]

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي يصعب حصرها.

٢- الكتاب: لقد تعددت آيات كتاب الله القرآن الكريم في تسمية كتاب الله التوراة بـــ"الكتاب"، منها:

- يقول تعالى: "ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ".[٤]

ويقول تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ".[٥]

ويقول تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ".[٦]

وغير ذلك من الآيات التي تدل صراحة على تسمية التوراة بـ"الكتاب".

٣- الفرقان: ورد في كتاب الله أن كتاب موسى فرقان، يقول تعالى: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".[٧]

---

[١] سورة آل عمران: ٣

[٢] سورة آل عمران: ٤٨

[٣] سورة المائدة: ٤٤

[٤] سورة الأنعام: ١٥٤

[٥] سورة القصص: ٤٣

[٦] سورة السجدة: ٢٣

[٧] سورة البقرة: ٥٣

ويقول تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ".[١]

فالتوراة فرقان لأنها الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ضياء أي نور يهتدي به المهتدون ويأتم به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل والبدع والغواية.[٢]

٤- الهُدى: وورد اسمها الهدى، يقول تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ".[٣]

هذه هي بعض أسماء التوراة في كتاب الله القرآن، وهي تدل على شرف التوراة وفضلها، وأنها نور وهدى وفرقان وذكر وضياء.

رابعا: ما ذكر في القرآن الكريم من صفات التوراة: التوراة لها صفات عديدة مذكورة في القرآن الكريم، منها:

١- أنها كتاب الله تعالى تكلم بها حقيقة، فهي كلامه سبحانه غير مخلوق، يقول تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ".[٤]

٢- نزولها من عند الله: يقول تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ"[٥]، ويقول تعالى: "وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ".[٦]

٣- نزولها على موسى عليه السلام: من المعلوم أن التوراة أعطيها موسى عليه السلام وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم، يقول تعالى: "قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ"[٧]، ويقول: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[٨]، ويقول: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ".[٩]

---

[١] سورة الأنبياء: ٤٨
[٢] انظر: تفسير السعدي ص: ٥٢٥
[٣] سورة الغافر: ٥٣
[٤] سورة المائدة: ٤٤
[٥] سورة المائدة: ٤٤
[٦] سورة آل عمران: ٣
[٧] سورة الأنعام: ٩١
[٨] سورة البقرة: ٥٣
[٩] سورة الأنبياء: ٤٨

٤-نزولها على موسى عليه السلام بعد إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة السلام بقرون عديدة، يقول تعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ".[١]

ويقول: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ".[٢]

في هاتين الآيتين ردٌّ على اليهود والنصارى المنتسبين إلى أحكام التوراة المجادلين في إبراهيم عليه السلام، مع أن التوراة والإنجيل أنزلا بعده بقرون عديدة.

٥- علّم الله عيسى عليه السلام التوراة وأنه عليه السلام أقر بها وأثبتها: يقول تعالى: "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ"[٣] ويقول: "وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ"[٤]، ويقول: "وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"[٥]، ويقول: "وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ"[٦]، وغير ذلك من الآيات التي تخبرنا أن الله علمه التوراة وأنه عليه السلام صّدقها وأقر بها.

٦- التوراة حَكَم بها أنبياء بني إسرائيل والأحبار والربانيون: يقول تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ".[٧]

٧- إن الله استحفظ اليهود من التوراة واستودعهم إياها، وجعلهم أمناء عليها، ولم يقم بحفظها بنفسه كما قام بحفظ القرآن بنفسه من التحريف والتبديل والنقص والزيادة عند

---

[١] سورة آل عمران: ٦٥
[٢] سورة آل عمران: ٩٣
[٣] سورة آل عمران: ٤٨
[٤] سورة المائدة: ١١٠
[٥] سورة آل عمران: ٥٠
[٦] سورة المائدة: ٤٦
[٧] سورة المائدة: ٤٤

الإنزال وبعده، يقول تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[١]، ويقول عن التوراة: "بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ".[٢]

أي بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه.[٣]

٨- أن اليهود حرفوها وبدلوها وعطلوا أحكامها وزادوا فيها ونقصوا منها:[٤]

خامسا: ما ذكر في القرآن الكريم عن محتويات التوراة: إن التوراة كتاب الله تعالى أنزلها على موسى عليه السلام مشتملا على أحكام وشرائع، نورا وهداية، فهي كتاب مشتمل على شريعة مستقلة، ولقد ذكر القرآن الكريم بعض محتوياتها، ومن أهمها:

١- أن التوراة فيها حكم الله: يقول تعالى: "وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ".[٥]

٢- التوراة فيها هدى ونور: يقول تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ"[٦]، ويقول تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ"[٧]، ويقول تعالى: "قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ".[٨]

٣- صفات محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين في التوراة: يقول تعالى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً".[٩]

---

[١] سورة الحجر: ٩

[٢] سورة المائدة: ٤٤

[٣] انظر: تفسير السعدي ص: ٢٣٣، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين بن محمد مختار الشنقيطي (٣٠٨/١)، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

[٤] انظر للتوسع: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٢/١٣-١٠٥)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح له (٣٥٦/١، ٣٦٧)، (٥/٢)، (٢٤٦/٣).

[٥] سورة المائدة: ٤٣

[٦] سورة المائدة: ٤٤

[٧] سورة غافر: ٥٣

[٨] سورة الأنعام: ٩١

[٩] سورة الفتح: ٢٩

٤- البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة: يقول تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ".[1]

أي اسمه وصفته التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه وينهى عنه.[2]

٥- وعد الله للمجاهدين في سبيله ذكر في التوراة: يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[3]، فالتوراة هي أشرف الكتب التي طرقت العالم وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.[4]

٦- وجوب القصاص في التوراة: لقد أوجب الله القصاص على بني إسرائيل وذكر ذلك في كتابه القرآن الكريم، يقول تعالى: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ".[5]

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: (هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار. إن الله أوجب عليها فيها أن النفس -إذا قتلت- تقتل بالنفس بشرط العمد والمكافأة، والعين تقلع بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن والسن ينزع بالسن...)[6]

(يتبع)

***

---

[1] سورة الأعراف: ١٥٧
[2] انظر: تفسير السعدي ص: ٣٠٥
[3] سورة التوبة: ١١١
[4] انظر: تفسير السعدي: ٣٥٣
[5] سورة المائدة: ٤٥
[6] تفسير السعدي ص: ٢٣٣

حركات هدامة

مخططات اليهود .. والشيعة حول الحرم المكي وسبل مواجهتها

(٢)

الشيخ أبو القاسم عبد العظيم
مئونات بنجن

مخططات خبيثة حول الحرم المكي الشريف:

لا زالت ولا تزال الأطماع الخبيثة ترفّ حول أماكننا المقدسة وبخاصة حول الحرم المكي الشريف حيث كعبتنا وقبلتنا وحجنا ذلك الركن الخامس من الإسلام، من قبل اليهود والنصارى وأهل الكفر، ومن الصهيونية والصليبية العالميتين، فهي لا تنثني ولا تهدأ في التمهيد الخفي اللئيم لهذه الأطماع الفاجرة الماكرة.

كما أن مخططات الشيعة، المدعية لحب آل البيت وأطماعها لا تقل من تلك الأطماع الخبيثة التي يمكر بها غير أهل هذه الملة.

فالكتب التي ينتحلها هؤلاء وأولئك مشحونة بالنوايا السيئة نحو هذا الحرم المقدس وارتكاب الأعمال الإجرامية فيه. وإليكم بيانها بالإيجاز.

المخططات اليهودية والصهيونية حول الحرم المكي الشريف:

إن اليهود والصهاينة يتطلعون إلى إقامة دولة "إسرائيل العظمى" دون هذه الدولة التي بنوها على أرض فلسطين منذ عام ١٩٤٨م. بل إن هذه الدولة الكبرى تكون من النيل إلى الفرات، وعلى جميع أرض الكنعانين، وهي التي يسمونها "أرض الميعاد" ويعتبرونها "حقهم الإلهي". ويستندون في دعواهم الزائفة إلى حجتين: دينية وتاريخية. فأما الحجة التاريخية، فهي كلها واهية، لا تستند إلى شيء يوثق به، وقد زيفها علماء التاريخ.

وأما الحجة الدينية، فهي التي تزخر بالنصوص الواعدة حينا، والمحرضة حينا آخر على اغتصاب أرض الكنعانيين وغيرهم من الشعوب المجاورة بالقوة، بل بالإبادة الكاملة لسكانها الأصليين، وها نحن نسوق بعض الأمثلة من هذه النصوص:

(النص الأول): "وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطى هذه الأرض". (سفر التكوين، أصحاح ١٢: ٦-٧)

(النص الثاني: ثم تكرر على الوعد على التوالي حتى نهاية الأصحاح ٣٦ من سفر العهد القديم. يقول نص منها: "وأعطى لك ولنسلك من بعدك غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا". (التكوين، أصحاح ١٧: ٨)

(النص الثالث): "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات". (التكوين ١٥: ١٨)

(النص الرابع): ثم جدد هذا الوعد لإسحاق ويعقوب ونسلهما من بعدهما، فقال: "أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي تضجع عليها أعطيها لك ولنسلك". (التكوين ٢٨: ٣)

(النص الخامس): "وقال الرب لموسى: اذهب، اصعد من ههنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا: لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك ملاكا. واطرد الكنعانيين والأموريين والحقيين والفرزيين والحويين واليهوسيين". (سفر الخروج، أصحاح ٣٣: ١-٢)

(النص السادس): قلت: بل إن هذا الوعد المذكور لإبراهيم في النص الخامس ليس ينحصر على الأقوام والشعوب المذكورة فقط، بل ويشمل على: "القينيين والقنيزيين والقدمونيين والرقائيمين والجرجاسيين" أيضا. (سفر التكوين، أصحاح ١٥: ٢٠-٢١)

(النص السابع): "احفظ ما أنا موصيك اليوم: ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحقيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. وإياك أن تقطع عهدا من سكان الأرض التي أنت آت إليها، لئلا يصيروا فخا في وسطك". (الخروج ٣٤: ١١-١٢)

(النص الثامن): يؤكد باتخاذ يوم العيد في شهر أبيب الذي خرج فيه موسى وبنو اسرائيل من أرض مصر، وذلك بعد الاستيلاء على أرض الميعاد أرض الكنعانيين وغيرهم. (الخروج ١٣: ٥/١١)

(النص التاسع): يذكر حدود الدولة الموعودة من بحر القلزم إلى بحر الفلسطين، ومن صحراء البرية إلى نهر الفرات، كما يؤكد بإخراج الأقوام والشعوب بعد الاستيلاء عليها، ويمنع من عبادة آلهتهم التي يعبدونها. (الخروج ٢٣: ٣١)

(النص العاشر): ثم توسع المهندس "يهوه" في رسم خريطته التوسعية بعد أن كانت مقتصرة على "هذه الأرض" - أرض الكنعانيين - لتشمل لبنان وقسما من سوريا ومصر والعراق، فقد جاء في سفر يشوع: "وشاخ يشوع، تقدم الأيام، فقال له الرب: أنت قد شخت، تقدمت في الأيام، وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك، هذه هي الأرض الباقية: كل دائرة الفلسطينين، وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا، تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطيين الخمسة: الغزى، والأشدودي، والأشقلوني، والجني، والعقروني، والعويين، من الثيمن كل أرض الكنعانيين، ومغارة التي للصيدونيين، إلى أنيق، إلى تخم الأموريين، وأرض الجبليين، وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد

تحت جبل حرمون، إلى مدخل حماه، جميع سكان الجبل من لبنان إلى سرتوت مايم جميع الصيدونيين أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل" (سفر يشوع، أصحاح١:١٣)

(النص الحادي عشر): يؤكد بالاعتصام بالتعليمات وتنفيذها على أرض الميعاد للخلود عليها (سفر التثنية ١١: ٢٢—٢٤) وأرض الميعاد ههنا كل أرض تطؤها أقدامهم من صحراء البرية ولبنان، ومن نهر الفرات إلى بحر الغرب.

(النص الثاني عشر) كما أن النص الآخر يأمرهم والاستيلاء على المناطق الجبلية للأموريين وما حولها، وفي الجنوب إلى ساحل البحر الذي هو مساكن الكنعانيين، ومن جبل لبنان إلى نهر الفرات. (التثنية: ١: ٦—٨)

(النص الثالث عشر والرابع عشر): وهناك نصوص أخرى أيضا، من بينها ذلك النص الطويل الذي يأمر بإبادة جماعية كاملة لتلك الشعوب وآلهتها في أرض الميعاد الكبرى كما في سفر التثنية أيضا. (الأصحاح ٢٠: ١—١٨) ولكن أكتفي هنا بنص واحد من سفر التثنية أيضا لئلا يغتر المغترون بولائهم إليهم. وفي هذا النص تتصاعد لهجة "يهوه" من الوعد إلى الوعيد. يقول النص: "هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها، كل الأيام التي تحيون في الأرض، تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة، وعلى التلال، وتحت كل شجرة خضراء، وتهدمون مذابحيهم، وتكسرون أنصابهم، وتحرقون سواريهم بالنار، وتقطعون تماثيل آلهتهم، وتمحون اسمهم من ذلك المكان. (التثنية، ١٢: ١—٣)

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير من تلك النصوص التي تغص بها أسفار العهد القديم، وهي تحمل الوعد والوعيد بطرد الشعوب الآمنة وإبادتها من أرضها وبلادها ومعابدها وعباداتها، وتقدمها هبة سخية بمن فيها وما عليها إلى بني إسرائيل، أبناء القردة والخنازير وعبد الطاغوت، قد وضعناها بين أيدي القراء والمستمعين للبحث والمناقشة وكشف النوايا الخبيثة إلى أماكن المسلمين المقدسة: الحرمين الشريفين ونحوهما الواقعة في أرض الجنوب من "أرض الميعاد".

مخططات النصارى والصليبيين حول الحرم المكي الشريف:

لا فرق عندنا بين مخططات النصارى والصليبيين حول الحرم المكي الشريف وحول أماكننا المقدسة وأراضينا الواقعة في جزيرة العرب والشرق الأوسط، وبين مخططات اليهود والصهاينة التي ذكرناها من قبل، مع وقوف اليهود والنصارى بعضهم في نحور بعض، كما قال تعالى: (وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب). (سورة البقرة: ١١٣)

فالكتاب المقدس الذي يعد اليهود بأرض الميعاد، هو نفس الكتاب الذي يعد النصارى بذلك. إن اليهود والنصارى كلاهما اتفقوا على قسم "العهد القديم" من هذا الكتاب. فالصهاينة والصليبيون في هذه القضية سواء. وقد قدمنا ما يستندون إليه من نصوص الكتاب المقدس، فنحيل القراء والمستمعين إلى تلك النصوص بدون إعادتها.

نعم! قد تكون مخططات النصارى والصليبيين حول أماكننا المقدسة أكبر وأخطر وأدق من مخططات اليهود والصهاينة، لأن عداوة هؤلاء لنا ظاهرة ومكشوفة وعداوة أولئك لنا خافية ومحجوبة، إنهم أعداء في زي الأصدقاء، أصيب الإسلام منهم ما لم يصب من غيرهم. إن الدارس لتاريخ الحروب الصليبية قديما وحديثا، والدارس لتاريخ الاستعمار والاستشراق في العصر الحديث لجد خبير بكل ذلك من خلال ما ظهر من أطماعهم ونواياهم وتصرفاتهم واعتداءاتهم حول حرمنا الآمن، وحول أماكننا المقدسة، وحول عالمنا الإسلامي وحكوماته. بل وقبل الإسلام في الجاهلية بدءا من حادثة الفيل، وانتهاء إلى تخريب الكعبة قبل قيام الساعة وهو آخر المطاف.

وفيما يلي نسرد بعض الوقائع ونكشف عن بعض النوايا من هذا النوع: مخططات صليبية حول الحرم المكي:

(الف) حادثة الفيل: إنها من المخططات الصليبية الفاشلة، وقعت سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) من ميلاد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقليل، وقصتها مشهورة لم تكن عازبة عن أذهان الناس، بل كانت مستفيضة الشهرة في حياة العرب في الجزيرة العربية، عظيمة الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المباركة، حتى أنزل الله سورة في القرآن تخلد ذكرياتها العظيمة: (بسم الله الرحمن الرحيم، ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل..... فجعلهم كعصف مأكول) [سورة الفيل: ١-٥]

إذن فلا حاجة بنا إلى بسطها وتفصيلها في هذا المقال.

(ب) اعتداء رومي على الحجر الأسود في الكعبة:

ذكر ابن فهد في حوادث سنة (٣٦٣هـ) وفيها: بينما الناس في وقت القيلولة وشدة الحر، وما يطوف بالكعبة إلا رجل أو رجلان، فإذا رجل عليه طمرّان، مشتمل على رأسه ببرد، يسير رويدا، حتى إذا دنا من الركن الأسود ولا يعلم ما يريد، فأخذ معولا، وضرب الركن ضربة شديدة حتى خفته الخفتة التي فيه، ثم رفع يديه ثانيا يريد ضربه، فابتدره رجل من السكاسك من أهل اليمن حين رآه وهو يطوف، فطعنه طعنة عظيمة بالجنجر حتى أسقطه، فأقبل الناس من نواحي المسجد، فنظروه فإذا هو رجل رومي، جاء من أرض الروم. وقد جعل

له مال عظيم على ذهاب الركن، ومعه معول عظيم، قد حُدّد وذُكِر بالذُكور – أي: صُيّر فولاذ اصلبا -. وقتل هذا الرومي الذي أراد ذهاب الركن، وكفى الله بشره.

قال: فأخرج من المسجد الحرام، وجمع حطب كثير فأحرق بالنار. (اتحاف الورى بأخبار أم القرى لنجم الدين عمر بن فهد ٢/٤١٠)

(ج) نوايا صليبية حاقدة:

يقول أحد قادة فكرهم: "إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية".

ويكمله الآخر قائلا: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه".

ويضع أحد فلاسفتهم – وهو الفيلسوف الفرنسي كيمون – الحل النهائي فيقترح بإبادة ثلثي المسلمين، وبنفي الثلث الباقي. ويقترح بهدم الكعبة وبنقل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى متحف اللوفر بفرنسا. (أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ط ا ص ٩٣)

وقبل أعوام يقترح نائب الرئيس الأمريكي السابق – عليه من الله ما يستحق – بالإغارة على الكعبة الشريفة علاجا لحل قضية الإرهاب والتطرف ومشكلاته.

وقد عقد مؤتمر التبشير العالمي الثالث في مدينة لكناؤ – عاصمة ولاية اترابراديش – بالهند في شهر يناير (٢١ – ٢٩) عام ١٩١١م تحت رئاسة القسيس "زويمر". وتحت عنوان "الجامعة الإسلامية" في هذا المؤتمر قال القسيس "نلسن": "إن الألوف من مسلمي الأرض يتجهون في كل سنة إلى مكة ويشربون من ماء زمزم، إلا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجي، وبالرغم من وجود الاتحاد الذي يجعل لفكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية إلى حد يستدعي اهتمام المبشرين النصارى والحكومات النصرانية". (الغارة على العالم الإسلامي ص ٦٠ – ٦١)

وقال القسيس ورنز السويسري: "إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين، والنفرة من كل شيء غير إسلامي". (أيضا ص ٦١)

وتكلم بعدهما القسيس "سيمون" في هذا المؤتمر، فكان فيما قال: "يزعم بعضهم أن الإسلام في الهند تنقصه الحياة، وأنه غير مرتب، وأنه صبياني. ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الإسلام في الهند بمكة. وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر ماليزيا إلى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير، وبأن سلطنة النصارى شيء موقت". (أيضا ص ٦٢)

ومن مخططاتهم وآمالهم في المستقبل استغلال جميع السكك والطرق يمر بها الحاج إلى مكة المكرمة، واستغلال السكة الحديدية الحجازية التي كانت تربط دمشق بمكة والمدينة آنذاك.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي –رحمه الله-: "لا نشاهد في التاريخ الإسلامي بعد فتنة الردة خطرا أكبر على الجزيرة العربية والبلدان المجاورة والأماكن المقدسة من الحروب الصليبية وزحف القوى الغربية إلى فلسطين والقدس، والتي بدأت في أواخر القرن الخامس الهجري ٤٩٠هـ، وانتهت في أواخر القرن السادس الهجري ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وتفيد دراسة التاريخ لذلك العصر بأن الهدف الرئيسي لهذه الحروب أو الزحف الصليبي الذي اشتركت فيه جميع القوى الغربية المسيحية لم تكن لمجرد السيطرة على المسجد الأقصى وفلسطين وحدها. بل كان هدفها أوسع منها، إنه كان الاستيلاء على الحرمين الشريفين فقد صدرت من لسان قادة هذه الحروب تصريحات تكشف عن نوايا هؤلاء القادة الخبيثة وأبعاد هذه الحملة. ولا يستطيع قلم مسلم غيور أن ينقل هذه الكلمات".

قال: "وقد قيض الله لمواجهة هذا الوضع.... الملك العادل نور الدين الزنكي (ثم) السلطان صلاح الدين الأيوبي.... ويقدر ذلك من موقفه الذي وقفه إزاء ملوك الدول الأوربية والقادة المنهزمين في معركة "حطين". فلما عرض هؤلاء عليه أجلسهم بجانبه وأكرمهم. ولكن لما دخل ريجي نالد (Raginold) في الخيمة قال له السلطان: اسمع! إني نذرت لقتلك مرتين، مرة عندما أبديت نيتك للإغارة على مكة المكرمة والمدينة المنورة المقدستين، ثم لما هجمت على قافلة الحجاج (وقد قال لهم الخبيث عندئذ: قولوا لمحمدكم يخلصكم. (تاريخ ابن شداد ص ١٢٧) وسلّ السلطان صلاح الدين سيفه من غمده وقال: ها أنا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم، وضرب عنقه. (أكبر خطر على العالم العربي ص ٢٨–٣١)

(د) تخريب الكعبة وهدمها في آخر الزمان:

قبل بضعة أسطر سبق بنا في بيان النوايا الصليبية الحاقدة اقتراح نائب الرئيس الأمريكي السابق بالإغارة على الكعبة، واقتراح الفيلسوف الفرنسي "كيمون" بهدم الكعبة وبنقل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى متحف اللوفر بفرنسا.

وحقا سيهدم الكعبة في آخر الزمان ويخرب بأيدي هؤلاء الحاقدين ويخرج كنزها. وسيأتي بيان ذلك في آخر هذا المقال.

(يتبع)

***

إسهام الزهراوي الأندلسي في تطور الجراحة الحديثة

الأستاذ عبد العلى
جامعة عليجره الإسلامية

من الحقائق الثابتة اليوم أن علم الطب قد تطور تطورا كبيرا على أيدي العرب أيام ازدهار الحضارة العربية وفق أثر تعاليم الإسلام إذ يرى الإسلام أساسا إلى إقامة مجتمع مثالي يحظى بصحة تامة حتى تدرك الإنسانية جمعاء أقصى ما يمكن من تطوير لطاقاتها الجسمانية وملكتها العقلية ومقوماتها الروحانية وغيرها من الإمكانات التي حبا بها الخالق مخلوقه ليجعله أرقى مخلوق في الكون، وكان لا بد لهذه الرسالة الدينية أن تفضي بالمسلمين لتحسين أحوالهم ولمقاومة كل ما يتهددهم من أوبئة وأمراض، علما بأن لسلامة الجسم والعقل دورا أساسيا ليس للتمتع فحسب بما يوتي الكون من ثمار، وإنما للوقوف كذلك على هدف الحياة وعلى علاقة الإنسان بخالقه وبباقي أفراد ذريته.[1]

فقد اهتدى العرب بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واهتموا بعلم الطب اهتماما كبيرا شرقا وغربا، وحققوا إنجازات جليلة باهرة في كل ضرب من ضروب العلاج والجراحة والنقاهة وإدارة العيادات والمستشفيات، وإليهم يرجع الفضل في اعتماد الطرق التجريبية لتحليل الأمراض وتشخيصها ومعالجتها بينما كان زملاؤهم الأوربيون آنذاك يفسرون ما استعصى من أمراض وأوبئة بكونها تعبيرا عن سُخط الله وعقابا منه.[2]

وكان العرب يرعون البحوث الطبيبة، ويشجعون على توسيع مجالها، فتكاثر عدد أطباء العرب، وعظم شأنهم، وزرعوا آنذاك بذورا يجني ثمارها الطب المعاصر اليوم. ونذكر من بين فحول الأطباء العرب الأولين ابن زكريا الرازي صاحب "الحاوي"، وهي موسوعة طبية، وأبو القاسم الزهراوي صاحب "التصريف"، وابن سينا صاحب "القانون في الطب"، وابن النفيس، الذي اكتشف الدورة الدموية وهلم جرا.

---

[1] د. عبد العلي: دراسات في الحضارة الإسلامية العربية، الجامعة السلفية، وارانسي، ١٩٩١، ص ٥٧.

[2] سعيد الديوه جي: "الخدمات الصحية في الإسلام" في مجلة المعرفة، بغداد، الجزء الحادي والثلاثون، ص ٧.

وكان أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦– ١٠١٣م) يعد من بين هؤلاء العلماء العرب، أعظم طبيب جراحي في القرون الوسطي، ولد ونشأ بالزهراء بجوار قرطبة التي كانت عاصمة إسبانيا المسلمة والتي كانت تضاهي بغداد والقسطنطنية في البهاء والعظمة. وكانت جامعة قرطبة من أعظم الجامعات المعروفة في تلك الأيام، وكانت مكتبتها تضمّ أكثر من أربع مائة ألف مجلد في مجالات المعرفة المختلفة. ودرس الزهراوي الطب والعلوم الإسلامية بمدارس قرطبة، ولم يلبث أن تألق نجم الطبيب الجراح، فأصبح رئيسا لمستشفاها ومدرسة بها، ثم عينه الخليفة الحكم الثاني طبيبه الخاص بالبلاط.......

وكان الزهراوي شغوفا متفانيا في عمله الجراحي فقصد إليه الطلبة والمرضى من جميع أنحاء أوروبا والعالم الإسلامي سعيا وراء النصيحة والعلاج. وهذا مما جعل وِل دورانت يقول: "كانت قرطبة آنذاك المكان المفضّل الذي يلجأ إليه الأوربيون لإجراء العمليات الجراحية.[٣]

ويعود فضل الصيت العظيم الذي اكتسبه الزهراوي إلى موسوعته "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي يقع في ثلاثين مجلدا. وخصص الجزء الأخير منه لعلم الجراحة، حيث يوجد فيه أكثر من مائتي رسم لأدوات الجراحة التي صمّمها المؤلف بنفسه، ورسمها بيده، ويعد هذا الكتاب اللبنة الأولى في الجراحة الحديثة. والزهراوي أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخراجها بتشريح جراحي، كما عالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في رتق الجراحات.

وقد قام "جيرارد أوف كريمونا" بترجمة الجزء المخصص بالجراحة إلى اللغة اللاتينية، ثم ترجم فيما بعد إلى العبرية والفرنسية والإنجليزية وإلى لهجة بروفونسال. وقد نشر الكتاب عدة مرات، وخاصة في البندقية سنة ١٤٩٧م وفي باسال سنة ١٥٤١م وفي أوكسفورد سنة ١٧٧٨.

كان طلبة الطب آنذاك في أمس الحاجة إلى كتاب الزهراوي حتى إن الجراح الفرنسي الشهير "كي دي شوليات" أبو الجراحة الفرنسية ارتأي أن يضيف الترجمة اللاتينية للجزء الجراحي من كتاب الزهراوي إلى ما ألفه بنفسه حول علم الجراحة. وقد استفاد

---

[٣] AbdulAli, ArabIslamicZegacytolifesciences, Delhi, ١٩٩٣ P. ٤٥.

الجراحون الإيطاليون أيضا من هذا الكتاب. ويكفي لأهمية هذا الكتاب أنه ظلّ طوال خمسة قرون مقررا ضمن برامج تدريس الجراحة بجامعة ساليرنو الإيطالية وجامعة مونبلية بفرنسا وكليات الطب الأخرى في أوربا.[٤]

وقد أسدى الزهراوي خدمات جليلة للإنسانية جمعاء من خلال بحوثه وابتكاراته العديدة التي ساهمته في إرساء أسس علم الجراحة المعاصرة. فهو المجدد في عمليات كي الجرح، وتفتيت الحجر الحويصلي بالمثانة، وهو المنادي بضرورة تشريح الأحياء عند الاقتضاء.

وقد أجرى الزهراوي عمليات جراحية لم يكن لها مثيل في الدقة والخطورة. ويروي بنفسه أن ذات يوم جرحت فتاة في حنجرتها في محاولة انتحار، وحدث أن وصل الجرح إلى القصبة الهوائية فأغمي عليها وغدت تنتظر الموت الذي كان متوقعا لا محالة في ذلک العصر إلا أنه تم اقتفاء أثرها في الوقت المناسب وحملها إلى الطبيب الجراحي الذي فحصها فوجد أن وريدها الوجادي لم يصب إلا ما كان من القصبة الهوائية التي تعرضت لجرح خطير أدى إلى تسرّب الهواء. فخاط الجرح وعالج الفتاة وأنقذها من الهلاک. والجدير بالذكر أن الزهراوي كان أول من استعمل الخيط الحريري في تخييط الجرح.[٥]

وكان كذلک يجري عمليات قيصرية في الولادة إذ كتب في هذا الموضوع بدقة وغزارة. كما ساهم في تطوير جراحات الحلق والأسنان، واخترع أصنافا متطورة من أدوات تنظيف الأسنان واقتلاع المنتخرة منها، وبرع كذلک في تركيب الأسنان المصطنعة التي كان يستخرج مادتها من عظام الحيوان.[٦]

أما التشخصيات والتحليلات الطبية التي قدمها الزهراوي لمجموعة من الأمراض فقد اتضح أن جلها كانت على جانب كبير من الدقة. وهكذا وبعد أن راقب وتمعن طويلا في داء الكلب، استنتج أن حالات الكلب تكثر في فصل الشتاء أكثر منه في فصل الصيف، وأن الكلب المصاب يفزع من شبحه. أما داء الكلب الذي ينزل بالإنسان فإنه — يقول الزهراوي — يعود

---

[٤] S.K.Hamorneh: Al-Zahrawi's Al-Tasrif in the journal Hamdard Medicins, Pakistan, Vol.xxxiii, No.٢, P.٢٨.

[٥] Abdul Ali, Eminent Arab Muslim Medical Scientists, New Delhi ٢٠١١, P.٧٧-٧٨.

[٦] Victor Robnson, The Story of Medicine, New York ١٩٤٣, P.١٦٦.

إلى رهبة الماء التي تنتج عن جفاف مفرط في الدماغ وعن تدفق سيولة المرة في باطن الجسد، وبصفته طبيبا جراحيا كان يوصي بكي الجرح بقضيب حد يدي ملتهب أو بامتصاص الدم بالمِحجم. وكان كذلك يصف العلاج باستعمال أدوية مدرة للبول ومعرقة ومسهلة إضافة إلى شرب النبيذ الخالص والاستحمام بالماء الساخن.[٧]

ولعل هذا التعريف الوجيز بالطبيب الجراحي الزهراوي قد أوضح بما فيه الكفاية بأن ما يتحقق اليوم من إنجازات وخدمات جليلة في ميدان الطب والجراحة إنما هو امتداد للأصول والبحوث التي وضعها الأطباء والجراحون العرب شرقا وغربا في القرون الوسطى وعلى رأسهم هذا الطبيب الأندلسي. فإن لم يسهم الزهراوي ما أسهمه في تطور العلم والمعرفة، لتخلف علم الجراحة قرونا طويلة لا في العالم الإسلامي فحسب، بل أيضا في الغرب المسيحي بأجمعه.

وليس في هذا شيء من المبالغة إذ وصف دونالد كامبيل، صاحب الكتاب الشهير "الطب العربي" باللغة الإنجليزية إسهام الزهراوي الفريد بهذا الصدد قائلا:

"من تأثير الزهراوي الخاص في نظام أوروبا الطبي أن استبصاره وأسلوب تعبيره العلمي مما سبب بين علماء الغرب ولوعا شديدا بالأدب العربي حيث خسفت تعاليمه تعاليم جالينوس، وظل نظامه سائدا في أوروبا طوال خمسة قرون. وبالاختصار إن جراحة الزهراوي أصبحت مطعمة في أوروبا بصفة راسخة بعد كي. دي. شولياك".[٨]

***

[٧] Abdul Ali, Eminent Arab Muslim Medical Scientists, New Delhi ٢٠١١, P. ٧٨.

[٨] Donald Compbell, Arabian Medicine, Amsterdam: Phili Press, ١٩٢٦, P. ٨٨.

الفتوى والمفتي

(٢-٢)

بابر علي عزيز الرحمن
مالده، غرب البنغال

آداب الفتوى:

ذكر النووي للفتوى تسعة عشر أدبا أنتقي منها ما هو أهم، والحاجة إليه أشد فيما يلي:

١- ينبغي أن يدعو إذا أراد الإفتاء، وجاء عن محكول ومالك أنهما كانا لا يفتيان حتى يقولا: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الصيمري: وعادة كثيرين أن يبدؤوا فتاويهم، الجواب وبالله التوفيق، أو الله أعلم، أو الله الموفق، قال: ولا يقبح قوله: الجواب عندنا، أو الذي عندنا، أو الذي نقول به، أو نذهب إليه أو نراه، لأنه من أهل ذلك، وقال: وينبغي إذا تعلقت الفتوى بالسلطان أن يدعو له فيقول: أصلحه الله، أو سدده الله، أو قوّى الله عزمه، أو أصلح الله به، أو شد الله أزره، ولا يقل: أطال الله بقاءه، فليس من ألفاظ السلف، قال النووي: وفي صحيح مسلم في حديث أم حبيبة رضي الله عنها إشارة إلى أن الأولى ترك نحو هذا من الدعاء بطول البقاء وأشباهه.

٢- إذا كان المستفتي بعيد الفهم فليرفق به، ويصبر على تفهم سؤاله، وتفهيم جوابه فإن أجر ذلك جزيل.

٣- يلزم المفتي أن يهدي إلى المستفتي جوابا يروي غلته ويجهل عقدته، ثم له الاقتصار على الجواب شفاها، فإن لم يعرف لسان المفتي كفاه ترجمة ثقة لأنه خبر وله الجواب كتابة، وإذا كان في المسألة تفصيل لم يطلق الجواب فإنه خطأ، ثم له أن يستفصل السائل إن حضر ويقيد السؤال في رقعة أخرى ثم يجيب، وهذا أولى وأسلم.

٤- قد يترك المفتي إجابة المستفتي عما سأل عنه ويجيب عن غيره لكونه أنفع له وأولى بحاله، وهذا ما يسمى "أسلوب الحكيم"، وقد وقع هذا النوع في القرآن الكريم حين قال عز وجل: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) سألوا ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يتم ثم يعود كما بدأ؟ فأجيبوا ببيان النفع الحاصل بذلك. (الفتياص٦١)

قال العوفي عن ابن عباس: سأل الناس رسول الله عن الأهلة فنزلت هذه الآية. (ابن كثير ١/٤٦١)

٥- ليس له أن يكتب الجواب على ما علمه من صورة الواقعة إذا لم يكن في الرقعة تعرض له، بل يكتب جواب ما في الرقعة، فإن أراد جواب ما ليس فيها فليقل: وإن كان الأمر كذا

وكذا فجوابه كذا، وينبغي أن تكون هذه الزيادة مما يحتاج إليه السائل كما في قوله عليه السلام: "هو الطهور ماؤه والحل ميتته" قلت: وليحذر المفتي أن يجيب عن الافتراضيات التي لم تقع بعد على وجه الأرض ولا تكاد.

٦–ليختصر جوابه ويكون بحيث تفهمه العامة، قال صاحب الحاوي: يقول: يجوز أو لا يجوز، أو حق أو باطل، وحكى شيخه الصيمري عن شيخه القاضي أبي حامد أنه كان يختصر غاية ما يمكنه، واستفتي في مسألة آخرها يجوز أم لا، فكتب: لا، وبالله التوفيق. (المجموع ١/٨٣) وسيأتي بيان القضايا التي تسوغ فيها الصراحة بالتحليل أو التحريم إن شاء الله.

٧–وقال النووي فيما يحسن بالمفتي أن يغلظ ويشدد حسب حال المستفتي: "قال الصيمري: إذا رأى المفتي المصلحة أن يفتي العامي بما فيه تغليظ، وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل جاز ذلك زجرا له، كما روى عن ابن عباس أنه سئل عن توبة القاتل، فقال لا توبة له، وسأله آخر، فقال: له توبة، ثم قال: أما الأول فرأيت في عينه إرادة القتل فمنعته وأما الثاني فجاء مستكينا، قد قتل، فلم أقنطه، قلت: هذا إذا علم أنه لا يعمل بما يقوله، أما لو علم أنه يعمل كما لو كان السائل أميرا ونحوه فلا يجيب إلا بما يعتقده في المسألة. (المجموع ١/٨٣) قلت: وهو استثناء متجه حسن.

وهناك في كتاب النووي آداب أخرى كثيرة علاوة على ما أسلفت تتعلق بالرقاع وبالإفتاء في بعض الأحكام المخصوصة مما اعتبرته إطالة وإملالة ولم ألحظ فيه كبير فائدة، ولا شديد حاجة فاكتفيت بذلك ومآل ذلك كله إلى رب العالمين.

آداب وأحكام المستفتي

١–قال ابن الصلاح فيما ينبغي للمستفتي أن يتأدب به من الآداب: "ينبغي للمستفتي أن يحفظ الأدب مع المفتي، ويبجله في خطابه وسؤاله، ونحو ذلك، ولا يؤمن بيده في وجهه، ولا يقول له: ما يحفظ في كذا وكذا؟ أو ما مذهب إمامك الشافعي في كذا وكذا؟ ولا يقول له إذا أجاب: هكذا قلت أنا، وكذا وقع لي، ولا يقل له: أفتاني فلان، أو أفتاني غيرك بكذا وكذا، ولا يقل إذا استفتى في رقعة: إن كان جوابك موافقا لما أجاب فيها فاكتبه، وإلا فلا تكتب.

ولا يسأله وهو قائم أو مستوفز، أو على حالة ضجر، أو هم به، أو غير ذلك مما يشغل القلب، ويبدأ بالأسن الأعلم من المفتين، وبالأولى فالأولى، على ماسبق بيانه (وانظر لذلك "المجموع") وقال الصيمري: إذا أراد جمع الجوابات في رقعة قدّم الأسن والأعلم، وإن أراد إفراد الجوابات في رقاع فلا يبالي بأيهم بدأ، والله أعلم". (ادب الفتوى ص ١٤٩–١٥٠)

٢–قال ابن الصلاح في نهاية سفره: لا ينبغي للعامي أن يطالب المفتي بالحجة فيما أفتاه به، ولا يقول له: ولم، وكيف؟ وذكر السمعاني: أنه لا يمنع من أن يطالب المفتي بالدليل لأجل احتياط لنفسه، وأنه يلزمه أن يذكر له الدليل إن كان مقطوعا به، وإلا فلا.

قلت: ينبغي للمفتي أن لا يدع للعامي فرصة لأن يطلب منه الدليل، بل يرد على سؤاله بأسلوب مقنع وإن لم يجد القضية مقطوعا بها أهدى إلى المستفتي ما حضره حالا من الأدلة الهادية المضيئة، ويرشده إلى المزيد من التثبت والتبين، والله أعلم بالصواب.

٣–هل يجوز للعامي أن يتخير أي مذهب شاء، قال ابن الصلاح: إن كان منتسبا إلى مذهب فقيه وجهان ثم ذكرهما، وإن لم يكن منتميا إلى مذهب يحسن به أن يتمذهب بأسد المذاهب وهو المذهب الشافعي كما زعم ابن الصلاح، ورد ابن القيم هذه الوجهة على صاحبها وقال قولا فصلا في الباب: "هذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام (وقد قال بما قال ابن الصلاح فيما مضى) وهم أعلى رتبة وأجل قدرا، وأعلم بالله ورسوله من أن يلزموا الناس بذلك، وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء، وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة. (الإعلام ٦/٢٠٤)

٤–من أفتاه المفتي بشيء ثم تراجع عن فتياه، صنع كما أرشده ابن القيم في كتابه "الإعلام ٤/٢٢٢–٢٢٥" ومحصلة القول في الباب أن التراجع إن كان اتقاء المخالفة لكتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع الأمة، وجب على المستفتي نقض الحكم الذي أفتاه به، وإلا فلا، قال ابن القيم: ولم يوجب أحد من الأئمة نقض حكم الحاكم ولا إبطال فتوى المفتي بكونه خلاف قول زيد أو عمرو، ولا يعلم أحد سوغ النقض بذلك من الأئمة والمتقدمين من أتباعهم، وإنما قالوا: ينقض من حكم الحاكم ما خالف نص كتاب أو سنة أو إجماع الأمة وتطرق قائلا: "إن علم المستفتي برجوع فقيهه، ولم يكن عمل بالأول، توقف حتى يسأل غيره، فإن أفتاه بموافقة الأول استمر على العمل به، وإن أفتاه بموافقة الثاني، ولم يفته أحد بخلافه حرم عليه الأول، وإن لم يكن في البلد إلا مفت واحد سأله عن رجوعه عما أفتاه به فإن رجع إلى اختيار الخلاف مع تسويغه الأول لم يحرم عليه الأول، وإن رجع لخطأ بان له حرم عليه الأول. (أدب الفتوى ص٦٢ نقلا عن الإعلام)

٥–إذا اختلف في مسألة مفتيان فماذا يصنع، قال ابن الصلاح: "المختار أن عليه أن يبحث عن الأرجح فيعمل به، فإنه حكم التعارض، فيبحث عن الأوثق من المفتين، فيعمل بفتواه وإن لم يترجح عنده أحدهما استفتى آخر وعمل بفتوى من وافقه، فإن تعذر ذلك وكان اختلافهما في التحريم والإباحة وكان ذلك قبل العمل اختار التحريم، فإنه أحوط وإن تساويا

من كل وجه –وهذا في حيز المستحيلات كما أرى– خيرناه بينهما". وقال النووي: "الأظهر أن يتخير فيأخذ بقول أيهما شاء" وأنا في الباب مع ابن الصلاح لما في وجهته من التورع والاستبراء، ولأن التقليد لا يجوز على أية حال، وهو الذي تلقيته عن مشايخي".

٦–إذا استفتى في أمر فعمل بما أُفتي، ثم نزل به الأمر نفسه فهل يجدد السؤال ويكرر الاستفتاء، قطع النووي بأنه لا يلزمه تجديد السؤال وقال: هو الأصح. (المجموع ١/٩٣) فهل يقضى بأن المستفتي يعمل بالفتوى الأولى وإن تغير اجتهاد فقيهه؟!

قلت: الذي يظهر لي أنه لو علم بتغير اجتهاده بناء على الأدلة الأصرح والأقوى من الكتاب والسنة فينبغي له أن لا يبطئ في العودة إلى الكتاب والسنة، ويحسن بالمفتي أن يهتم بالإعلام كما فعل زياد بن الحسن اللؤلؤي كما مرّ، والله أعلم.

هذه بعض الأحكام التي تتعلق بالمستفتي، والتي وجدتها أكثر أهمية وحاجة، أما الحصر والاستيعاب فأمر يتطلب مئات الصفحات، وأقول لكل مستفت: سل أهل الذكر وتحرّ الأعلم، واعمل بالشريعة مملوء القلب بنوازع الطاعة والاستسلام، هنالك تحمد عقباك، وتكتب لك السعادة في الأولى والآخرة.

الهمس الأخير

إن أمانة الفتيا قد خانها كثير من الناس في عصرنا هذا، وجعل منها وسيلة ناجحة إلى الترفع والاستعلاء، ولا أرى ذلك بعلمائنا حسنا، في حين صارت هذه الأمانة لبعض منهم إفضاء إلى العداوة والبغضاء، وبالتالي إلى التسفيه والتهوين، بينما أرى كثرة كاثرة منهم أولعوا بالتفريع والتدقيق، واستخراج التفاريع التي لا طائل تحتها، مما أقصاهم عن وعي روح الإسلام، وكل ذلك لا يجمل بعلماء الكتاب والسنة، ولكن ينبغي لهم أن لا تنفصم عروة الحب والوداد التي تصل بين قلوبهم وتقرب جافيهم بدانيهم، مهما تخالفت وجهاتهم وتباعدت مشاربهم.

كما أن بعض الناس يعتبرون العلماء لهم خدما وخولا، ويطرحون عليهم من الأسئلة الهازلة والاعتراضات السخيفة ما يرمون به إلى الحط من منزلتهم والغض من مكانتهم.

فلينتبه أمثال هؤلاء، وليتقوا الله ربهم، ولا يسألوا أهل الذكر إلا وقد اعتزموا على طاعة الله ورسوله والانصياع إلى أوامرهما والانزجار عن نواهيهما، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ففيه لهم خير وصلاح، والله الموفق وهو يهدي السبيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

آداب الصلاة

(٨)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

٩٨-ويستحب أن يقرأ سورة بعد الفاتحة في الصبح، والجمعة، والأوليين من كل الصلوات، فعن عطاء قال: قال أبو هريرة: في كل صلاة قراءة، فما أسمعنا النبي صلى الله عليه وسلم أسمعناكم، وما أخفا منا أخفيناه منكم، من قرأ بأم القرآن فقد أجزأت عنه، ومن زاد فهو أفضل.[1]

قال النووي: "وفيه استحباب السورة بعدها-أي بعد الفاتحة-وهذا مجمع عليه في الصبح والجمعة والأوليين من كل الصلوات، وهو سنة عند جميع العلماء، وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض أصحاب مالك وجوب السورة وهو شاذ مردود، وأما السورة في الثالثة والرابعة فاختلف العلماء، هل تستحب أم لا؟ وكره ذلك مالك رحمه الله تعالى، واستحبه الشافعي رضي الله عنه في قوله الجديد دون القديم، والقديم هنا أصح، وقال آخرون: هو مخير إن شاء قرأ، وإن شاء سبح، وهذا ضعيف، وتستحب السورة في صلاة النافلة، ولا تستحب في الجنازة على الأصح، لأنها مبنية على التخفيف، ولا يزاد على الفاتحة إلا التامين عقبها، ويستحب أن تكون السورة في الصبح والأوليين من الظهر من طوال المفصل، وفي العصر والعشاء من أوساطه، وفي المغرب من قصاره، واختلفوا في تطويل القراءة في الأولى على الثانية، والأشهر عندنا أنه لا يستحب، بل يُسوى بينهما، والأصح أنه يطول الأولى للحديث الصحيح، وكان يطول في الأولى ما لا يطول في الثانية.[2]

٩٩-وجوب الاعتدال عن الركوع والجلوس بين السجدتين، ووجوب الطمانينة في الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل، فصلى ثم جاء، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام فقال: ارجع، فصل، فإنك لم تصل، فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام، ثم قال: ارجع، فصل، فإنك لم تصل، حتى فعل

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة الخ.
[2] شرح صحيح مسلم ١/١٧١.

ذلک ثلاث مرات، فقال الرجل: والذي بعثک بالحق ما أحسن غير هذا، علمني، قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسّر معک من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم افعل ذلک في صلاتک كلها.[١]

قال النووي: وفيه دليل على وجوب الاعتدال عن الركوع والجلوس بين السجدتين، ووجوب الطمأنينة في الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور، ولم يوجبها أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وطائفة يسيرة، وهذا الحديث حجة عليهم، وليس عنه جواب صحيح.

وفيه وجوب القراءة في الركعات كلها، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور.

وفيه أن من أخل ببعض واجبات الصلاة لا تصح صلاته، ولا يسمى مصليا، بل يقال: لم تصل.[٢]

١٠٠ – يسن أن يقرأ بالسورة في الصلاة السرية، وإن الممنوع هو أن يجهر المأموم بالقراءة في الصلاة السرية خلف الإمام، فعن عمران بن حصين قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر أو العصر، فقال: أيكم قرأ خلفي "سبح اسم ربک الأعلى"، فقال رجل: أنا ولم أرد بها إلا الخير، قال: قد علمت أن بعضكم خالجنيها.[٣]

قال النووي: "ومعنى هذا الكلام الإنكار عليه، والإنكار في جهره، أو رفع صوته بحيث أسمع غيره، لا عن أصل القراءة، بل فيه أنهم كانوا يقرؤون بالسورة في الصلاة السرية، وفيه إثبات قراءة السورة في الظهر للإمام والمأموم".[٤]

١٠١ – يستحب كشف اليدين عند الرفع، ووضعهما في السجود على الأرض حذو منكبيه، ويستحب وضع اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام، فعن وائل بن حجر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه حين دخل في الصلاة كبّر، وصف همام: حيال أذنيه، ثم التحف بثوبه، ثم وضع يده اليمنى على اليسرى، فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب، ثم رفعهما، ثم كبر، فركع، فلما قال: "سمع الله لمن حمده" رفع يديه، فلما سجد سجد بين كفيه".[٥]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة الخ.
[٢] شرح صحيح مسلم ١/١٧١.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة الخ.
[٤] شرح صحيح مسلم ١/١٧٢.
[٥] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وضع يده اليمنى على اليسرى الخ.

قال النووي: ففيه فوائد، منها:

١–إن العمل القليل في الصلاة لا يبطلها لقوله: "كبّر ثم التحف".

٢–وفيه استحباب رفع يديه عند الدخول في الصلاة، وعند الركوع وعند الرفع منه.

٣–وفيه استحباب كشف اليدين عند الرفع، ووضعهما في السجود على الأرض حذو منكبيه، واستحباب وضع اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام، ويجعلهما تحت صدره وفوق سرته، هذا مذهبنا المشهور، وبه قال الجمهور، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وسفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه وأبو إسحاق المروزي من أصحابنا: يجعلهما تحت سرته، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه روايتان كالمذهبين، وعن أحمد روايتان كالمذهبين، ورواية ثالثة أنه مخيّر بينهما ولا ترجيح، وبهذا قال الأوزاعي، وابن المنذر، وعن مالك روايتان، إحداهما: يضعهما تحت صدره، والثانية: يرسلهما، ولا يضع إحداهما على الأخرى، وهذا رواية جمهور أصحابه وهي الأشهر عندهم، وهي مذهب الليث بن سعد، وعن مالك رحمه الله تعالى أيضا استحباب الوضع في النفل، والإرسال في الفرض، وهو الذي رجحه البصريون من أصحابه، وحجة الجمهور في استحباب وضع اليمين على الشمال حديث وائل المذكور هنا، وحديث أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعيه في الصلاة، قال أبو حازم: ولا أعلمه إلا ينمي ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رواه البخاري، وهذا حديث صحيح مرفوع كما سبق في مقدمة الكتاب، وعن هلب الطائي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنا، فيأخذ شماله بيمينه، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وفي المسألة أحاديث كثيرة.

ودليل وضعهما فوق السرة حديث وائل بن حجر قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره. رواه ابن خزيمة في صحيحه، وأما حديث علي رضي الله عنه أنه قال: من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة. ضعيف متفق على تضعيفه، رواه الدارقطني والبيهقي من رواية أبي شيبة عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف بالاتفاق.[١]

١٠٢–يستحب الدعاء في آخر الصلاة قبل السلام، فعن عبد الله قال: كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم: السلام على الله، السلام على فلان، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: "إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل:

[١] شرح صحيح مسلم ١/١٧٣.

"التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخير من المسألة ما شاء.[١]

وقد وردت أذكار كثيرة تقال بعد التشهد قبل السلام أوردها النسائي في سننه، من أرد البسط في ذلك فليراجع إليه.

١٠٣– يستحب أن يكبر المأموم عقب تكبيرة الإمام، لحديث حطان بن عبد الله الرقاشي قال في حديثه: "فإذا كبر فكبروا" الحديث.[٢]

١٠٤– يستحب أن يؤمن الإمام والمأموم والمنفرد عقب الفاتحة، وإنه ينبغي أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده لحديث حطان بن عبد الله قال في حديثه: "وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين، فقولوا: آمين، يحببكم الله" الحديث.[٣]

قال النووي: في هذه الأحاديث استحباب التأمين عقب الفاتحة للإمام والمأموم والمنفرد، وإنه ينبغي أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإذا قال: ولا الضآلين، فقولوا: آمين" وأما رواية: "إذا أمن فأمنوا" فمعناها: إذا أراد التأمين.

ويسن للإمام والمنفرد الجهر بالتأمين، وكذا للمأموم على المذهب الصحيح هذا تفصيل مذهبنا.

وقد اجتمعت الأمة على أن المنفرد يؤمن، وكذلك الإمام والمأموم في الصلاة السرية، وكذلك قال الجمهور في الجهرية، وقال مالك رحمه الله تعالى في رواية: لا يؤمن الإمام في الجهرية، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه والكوفيون ومالك في رواية: لا يجهر بالتأمين، وقال الأكثرون: يجهر".[٤]

١٠٥– يجب على المأموم أن يتابع لإمامه في التكبير والقيام والقعود والسجود، وإنه يفعلها بعد الإمام، فعن الزهري قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سقط النبي صلى الله عليه وسلم عن فرس، فجُحش شقه الأيمن، فدخلنا عليه نعوده، فحضرت الصلاة، فصلى بنا قاعدا، فصلينا وراءه قعودا، فلما قضى الصلاة قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبّر فكبروا،

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.
[٤] شرح صحيح مسلم ١/١٧٦.

وإذا سجد فاسجدوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا صلى قاعدا فصلوا اقعودا أجمعون". [١]

قال النووي: "وفيه وجوب متابعة المأموم لإمامه في التكبير والقيام والقعود والركوع والسجود، وإنه يفعلها بعد الإمام، فيكبر تكبيرة الإحرام بعد فراغ الإمام منها، فإن شرع فيها قبل فراغ الإمام منها لم ينعقد صلاته، ويركع بعد شروع الإمام في الركوع وقبل رفعه منه، فإن قارنه، أو سبقه فقد أساء، ولكن لا تبطل صلاته، وكذا السجود، ويسلم بعد فراغ الإمام من السلام، فإن سلّم قبله بطلت صلاته إلا أن ينوي المفارقة، ففيه خلاف مشهور، وإن سلم معه لا قبله ولا بعده فقد أساء، ولا تبطل صلاته على الصحيح، وقيل: تبطل". [٢]

وأما حديث صلاة القاعد القادر على القيام خلف القاعد فمنسوخ بحديث عائشة الآتي قالت: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر أن يصلي بالناس في مرضه، فكان يصلي بهم، قال عروة: فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج وإذا أبوبكر يؤم الناس، فلما رآه أبوبكر استأخر، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كما أنت، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبوبكر يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر". [٣]

قال النووي: "فاختلف العلماء فيه، فقالت طائفة بظاهره، وممن قال به أحمد بن حنبل والأوزاعي — رحمهما الله تعالى — وقال مالك — رحمه الله تعالى — في رواية: "لا يجوز صلاة القادر على القيام خلف القاعد، لا قائما ولا قاعدا، وقال أبو حنيفة والشافعي وجمهور السلف — رحمهم الله تعالى — لا يجوز للقادر على القيام أن يصلي خلف القاعد إلا قائما، واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مرض وفاته بعد هذا قاعدا، وأبوبكر رضي الله عنه، والناس خلفه قياما، وإن كان بعض العلماء زعم أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الإمام، والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به، لكن الصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الإمام، وقد ذكره مسلم بعد هذا الباب صريحا أو كالصريح فقال في رواية عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس جالسا وأبوبكر قائما، يقتدي أبوبكر بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر. [٤]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام.
[٢] شرح صحيح مسلم ١/١٧٦–١٧٧.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام الخ.
[٤] شرح صحيح مسلم ١/١٧٧.

١٠٦—إن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم، وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم، فعن عبيد الله بن عبد الله قال في حديثه: "فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسول، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر —وكان رجلا رقيقا— يا عمر صلّ بالناس، فقال عمر رضي الله عنه: أنت أحق بذلك، الحديث.[١]

١٠٧—يجوز وقوف مأموم واحد بجنب الإمام لحاجة، أو مصلحة كإسماع المأمومين، وضيق المكان ونحو ذلك، لحديث عبيد الله بن عبد الله المذكور قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر" الحديث.[٢]

١٠٨—لا بأس باستدعاء الأئمة للصلاة، لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة، الحديث.[٣]

١٠٩—يجوز رفع الصوت بالتكبير ليسمعه الناس ويتبعوه، وأنه يجوز للمقتدي اتباع صوت المكبر، لحديث ابن مسهر: "فأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجلس إلى جنبه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس، وأبو بكر يُسمعهم التكبير، وفي حديث عيسى: "فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس، وأبو بكر إلى جنبه، وأبو بكر يُسمع الناس".[٤]

قال النووي: "فيه جواز رفع الصوت بالتكبير ليسمعه الناس ويتبعوه، وأنه يجوز للمقتدي اتباع صوت المكبر، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور، ونقلوا فيه بالإجماع، وما أراه يصح الإجماع فيه، فقد نقل القاضي عياض عن مذهبهم، إن منهم من أبطل صلاة المقتدي، ومنهم من لم يبطلها، ومنهم من قال: إن أذن له الإمام في الإسماع صح الاقتداء به وإلا فلا، ومنهم من أبطل صلاة المسمع، ومنهم من صححها، ومنهم من شرط إذن الإمام، ومنهم من قال: إن تكلف صوتا بطلت صلاته، وصلاة من ارتبط بصلاته، وكل هذا ضعيف، والصحيح جواز كل ذلك وصحة صلاة المسمع والسامع، ولا يعتبر إذن الإمام.[٥] والله أعلم.

(يتبع)

***

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام الخ.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام الخ.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام الخ.
[٥] شرح صحيح مسلم ١/١٧٩.

التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي

(٥-٥)

عبد الله بن عارف جاويد
المدينة المنورة

المبحث الثاني: حكم هبة المرأة وحقها في اعتصار ما وهبته لقرابتها

المطلب الأول: حكم هبة المرأة

أجاز جمهور الفقهاء هبة المرأة كما أجازوا تصرفاتها المالية إذا بلغت رشيدة كما مر في الفصل الأول. إلا أن المشهور عند المالكية أنهم اشترطوا بعض القيود التي تحد من إطلاق المرأة في التصرف في مالها كما مر في الفصل الأول.

قال ابن حزم: "وهبة المرأة ذات الزوج، والبكر ذات الأب، واليتيمة، والعبد، والمخدوع في البيوع، والمريض مرض موته، أو مرض غير موته، وصدقاتهم: كهبات الأحرار، واللواتي لا أزواج لهن، ولا آباء كهبات الصحيح"[١].

وهبة المرأة – شأنها شأن الرجل – مندوبة إذا كانت بطيب نفس منها؛ لأن كل ما من شأنه أن يقرب بين قلوب الناس ويؤلف بينهم ويوطد عرى الأخوة مطلوب في الإسلام.

وهبة المرأة لذوي قرابتها قد تأخذ حكم الصدقة التي تمكنها من الحصول على أجرين: أجر القرابة، وأجر الصدقة؛ فقد سألت زينب امرأة عبد الله بن مسعود الرسول صلى الله عليه وسلم إن كان يجزئها أن تنفق على زوجها وأيتام في حجرها بعدما أمر النساء بالصدقة؟ فأجاب الرسول "بأن لها أجرين: أجر القرابة، وأجر الصدقة"[٢].

بالإضافة إلى ما يؤدي إليه ذلك من تقوية صلتها بقرابتها، ونشر المودة والأخوة بين أفراد الأسرة.

وقد وردت عدة آيات قرآنية تحض على الهبة والصدقة وهي تخاطب النساء والرجال، كما حثت الأحاديث النبوية الشريفة على التبرع، وبعضها خص النساء بالذكر.

فمن الآيات الكريمة الدالة على ذلك:

---

[١] المحلى ١٦٠/٩

[٢] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الزكاة (٢٤) باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر (٤٨)، برقم ١٤٦٦، ص: ٢٩٨

١- وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ.[١]

٢- إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ[٢]

٣- فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا.[٣]

٤- لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ.[٤]

٥- وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ.[٥]

٦- وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ.[٦]

ومن الأحاديث الدالة على جواز هبات النساء المسلمات:

١-عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟. قال: "إلى أقربهما منك بابا"[٧].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول: "يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة"[٨].

قال ابن حجر: " أي لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئا ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب..... وهو كناية عن التحابب والتوادد فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت فيتساوى في ذلك الغني والفقير"[٩].

وقال ابن عبد البر: " في هذا الحديث: الحض على الصدقة بكل ما أمكن من قليل الأشياء وكثيرها وفي قول الله عز وجل: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} أوضح الدلائل في هذا الباب"[١٠].

---

[١] البقرة: ١٧٧
[٢] البقرة: ٢٧١
[٣] النساء: ٤
[٤] النساء: ١١٤
[٥] الأحزاب: ٣٥
[٦] الحديد: ٧
[٧] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الهبة وفضلها (٥١)، باب بمن يبدأ بالهدية (١٦)، برقم: ٢٥٩٤، ص: ٥١٩
[٨] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الهبة وفضلها (٥١)، باب فضل الهبة (١)، برقم: ٢٥٦٦، ص: ٥١٤
[٩] فتح الباري ١٠/ ٤٤٥
[١٠] التمهيد ٤/ ٣٠١

المطلب الثاني: اعتصار المرأة ما وهبته لقرابتها

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز لأحد الرجوع في الهبة إذا وهب لذي رحم محرم عن طيب نفس غير الأب أو الأم، منهم أبو حنيفة ومالك[١] والشافعي[٢] والحنابلة[٣] وابن حزم[٤].

أدلتهم:

١- عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "العائد في هبته كالعائد في قيئه"[٥].

٢- عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الّذي كان عنده فأردت أن أشتريه منه وظننت أنه بائعه برخص فسألت عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لا تشتره وإن أعطاكه بدرهم واحد، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه"[٦].

وهذا هو الراجح، وأما إذا كانت مكرهة فلها الرجوع فيها على الراجح.

المبحث الثالث: تبرعات المرأة الحامل وكفالتها

المطلب الأول: تبرعات المرأة الحامل

اختلف العلماء في تبرعات المرأة الحامل على قولين.

القول الأول: إن حكم تبرعات المرأة الحامل حكم تبرعات المريض. و هذا قول مالك[٧] وشريح وعطاء وقتادة وعكرمة كما نقل عنهم ابن حزم[٨].

قال مالك في الموطأ: "إن الحامل كالمريض فإذا كان المرض الخفيف غير المخوف على صاحبه فإن صاحبه يصنع في ماله ما يشاء وإذا كان المرض المخوف عليه لم يجز لصاحبه شيء إلا في ثلثه قال وكذلك المرأة الحامل أول حملها بشرى وسرور وليس بمرض ولا خوف

---

[١] المدونة الكبرى ٤/٤١١-٤١٢

[٢] الأم ٨/٦٤٤

[٣] المغني ٨/٢٧٨

[٤] المحلى ٩/١٢٧

[٥] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الهبة وفضلها (٥١)، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته (٣٠)، برقم: ٢٦٢١، ص: ٥٢٤

[٦] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الهبة وفضلها (٥١)، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته (٣٠)، برقم: ٢٦٢٣، ص: ٥٢٤

[٧] الموطأ ص: ٤٥٩

[٨] المحلى ٨/٢٩٨

لان الله تبارك وتعالى قال في كتابه: "فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب"[١] وقال "حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين"[٢] فالمرأة الحامل إذا أثقلت لم يجز لها قضاء إلا في ثلثها فأول الإتمام ستة أشهر قال الله تبارك وتعالى في كتابه: "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"[٣]، وقال: "وحمله وفصاله ثلاثون شهرا"[٤]، فإذا مضت للحامل ستة أشهر من يوم حملت لم يجز لها قضاء في مالها إلا في الثلث"[٥].

ونقل ابن قدامة عن الخرقي أن عطية الحامل بعد ستة أشهر من الثلث حيث قال: "فإن صار له ستة أشهر فقال الخرقي: عطيتها من الثلث لأنه وقت لخروج الولد"[٦].

القول الثاني: أن عطية الحامل كعطية سائر الناس إلى أن يضربها الطلق. و هذا قول الشافعي، وإليه ذهب ابن قدامة[٧].

قال الشافعي: "وتجوز عطية الحامل حتى يضربها الطلق لولاد أو إسقاط فتكون تلك حال خوف عليها إلا أن يكون بها مرض غير الحمل مما لو أصاب غير الحامل كانت عطيتها عطية مريض وإذا ولدت الحامل فإن كان بها وجع من جرح أو ورم أو بقية طلق أو أمر مخوف فعطيتها عطية مريض وإن لم يكن بها من ذلك شيء فعطيتها عطية صحيح"[٨].

القول الثالث: أن عطية الحامل كعطية سائر الناس إلى أن تضع أو تموت. وهو قول ابن حزم.

قال ابن حزم: " والحامل مذ تحمل إلى أن تضع أو تموت، والموقوف للقتل بحق في قود أو حد أو بباطل، والأسير عند من يقتل الأسرى أو من لا يقتلهم، والمشرف على العطب، والمقاتل بين الصفين كلهم سواء، وسائر الناس في أموالهم، ولا فرق في صدقاتهم، وبيوعهم، وعتقهم وهباتهم وسائر أموالهم"[٩].

---

[١] هود ٧١
[٢] أعراف ١٨٩
[٣] البقرة ٢٣٣
[٤] الأحقاف ١٥
[٥] الموطأ ص: ٤٥٩
[٦] الكافي في فقه أحمد ابن حنبل ٢٤/٤
[٧] المغني ٤٩٢/٨
[٨] الأم ٥/ ٢٣٢
[٩] المحلى ٢٩٧/٨

الراجح: الذي يظهر أن تبرع المرأة الحامل جائز إلا أن يضربها الطلق، لأنها حينئذ تكون تحت تأثير الآلام الشديدة للوضع، الأمر الذي قد يشغلها من التفكير الصحيح، قياسا على القاضي الذي يجب أن لا يقضي وهو غضبان بسبب تأثير الغضب في تفكيره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان"[1]، إضافة إلى أن الجو النفسي لا يسمح بإمضاء تبرعاتها.

المطلب الثاني: كفالة المرأة

القول الأول: ذهب جمهور العلماء الذين رأوا أن للمرأة الرشيدة الحق في التبرع بمالها من غير حجر عليها من أحد، إلى جواز كفالتها بمالها كله.

قال النووي: " ضمان المرأة صحيح مزوجة كانت أو غيرها ولا حاجة إلى إذن كسائر تصرفاتها"[2].

وقال ابن قدامة: "يصح ضمان كل جائز التصرف في ماله سواء كان رجلا أو امرأة لأنه يقصد به المال فصح من المرأة كالبيع"[3].

القول الثاني: يحجر مطلقا على البكر، وعندما تتزوج يكون لها الحق في الكفالة بالثلث من مالها فما دونه، حتى إذا تأيمت أصبح لها الحق في الكفالة بمالها كله. وهذا مذهب الإمام مالك[4].

الترجيح: قول الجمهور راجح في هذه المسئلة لعموم الأدلة الدالة على جواز تصرفها في مالها إذا بلغت رشيدة والله أعلم.

الخاتمة

- ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المرأة إذا بلغت رشيدة فلها أهلية التصرف في مالها وليس لأحد الحجر عليها وهذا هو الراجح.
- مذهب المالكية أن البكر غير المتزوجة ذات الأب أو الوصي ليس لها التصرف في مالها. وأن الأيم الرشيدة التي فارقت زوجها بطلاق بائن أو موت، جميع تصرفاتها صحيحة و جائزة.

[1] أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الأقضية (٣٠)، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان (٧)، برقم: ١٧١٧، ص: ٨٦١
[2] روضة الطالبين وعمدة المفتيين ٤٧٦/٣
[3] المغني ٧٩/٧
[4] المدونة الكبرى ١٢٢/٤-١٢٥

- مذهب المالكية أن البالغة الرشيدة المتزوجة تصح تصرفاتها المالية التي تكون في مقابل عوض كالبيع والشراء ولو كره الزوج ذلك وكذلك تبرعاتها المالية إذا كانت في حدود الثلث فأقل، وبعد مرور مدة معينة على الزواج.
- أجاز الفقهاء قيام المرأة بالبيع والشراء إذا كانت رشيدة سواء كانت متزوجة أم لا، إلا أن الإمام مالك اشترط عدم محاباتها بالزائد عن الثلث إذا كانت متزوجة.
- ذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز للزوجة التبرع بمالها مطلقا من غير إذن من الزوج إذا بلغت رشيدة وهذا هو الراجح.
- منع المالكية المرأة من التبرع بالزائد عن الثلث من مالها.
- لا خلاف بين الفقهاء في جواز هبة الزوجة لزوجها.
- المرأة إذا أكرهها الزوج على الهبة فلها الرجوع فيها، وإذا لم يكرهها فلا رجوع لها.
- يجوز للمرأة أن تتبرع من مال زوجها بما أذن فيها صريحا، وبما لم يأذن فيه، ولم ينه عنه إذا علمت رضاه به، بشرط أن لا تكون مفسدة.
- يجب على من وهب شيئا لأولاده أن يسوي بينهم إلا أن تستدعي الضرورة.
- ذهب الجمهور إلى أن التسوية بين الابن والبنت أن تعطى البنت مثلما يعطى الابن وهذا هو الراجح.
- يجوز للأم اعتصار ما وهبته لأولادها مطلقا كما يجوز ذلك للوالد.
- أجاز جمهور الفقهاء هبة المرأة كما أجازوا تصرفاتها المالية إذا بلغت رشيدة.
- ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز لأحد الرجوع في الهبة إذا وهب لذي رحم محرم عن طيب نفس غير الأب أو الأم.
- الراجح في حكم تبرع الحامل أن عطية الحامل كعطية سائر الناس إلى أن يضربها الطلق.
- ذهب جمهور العلماء الذين رأوا أن للمرأة الرشيدة الحق في التبرع بمالها من غير حجر عليها من أحد، إلى جواز كفالتها بمالها كله. وهذا هو الراجح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

***

الأدب العربي

المتنبي
مالئ الدّنيا وشاغل النّاس

(٣)

وسيم المحمدي / المدينة المنورة

الأغراض الشعرية للمتنبي

لم يعل شأن المتنبي بين الأدباء والنقاد والعوام والخواص في عصره وفي ما بعده من العصور إلا ما رأوا في شعره من قوة وجمال وفصاحة وبلاغة، على الرغم من وجود بعض الهفوات والسقطات في شعره.

يقول الثعالبي: "فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين، وقد أُلِّفت الكتب في تفسيره، وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه، وتفرقوا فرقا في مدحه، والقدح فيه، والنضح عنه، والتعصب له وعليه، وذلك أول دليل دلّ على وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفرده عن أهل زمانه، بملك رقاب القوافي، ورق المعاني، فالكامل من عدت سقطاته، والسعيد من حسبت هفواته، ومازالت الأملاك تهجى وتمدح"[١].

ومما يدل على علوّ شعره ورفعته أنه كان سببا في شهرة من مدح أو هجا.

فبشعره اشتهر سيف الدولة وذووه، وكافور الأخشيدي؛ بل اشتهرت دويلات عصره، كالدولة الحمدانية والبويهية.

وكان سبب نجاح شعره ورواجه رواجا لا مثيل له أنه كان ينطق عن خواطر الناس كما ذكره القاضي الفاضل[٢]؛ فجاء فملأ الدنيا وشغل الناس[٣].

ومما يدل عليه ــ أيضا ــ كثرة شرّاح ديوانه، فله ديوان شعر كان المتنبي هو أول من جمعه، ورتّبه وقرأه على الناس، وفسّر غامضه، وقد نقله عنه أبو الفتح بن جني (ت٣٩٢هـ)،

---

(١) يتيمة الدهر ١/١٤٠.

(٢) ينظر: الوشي المرقوم ص٥٧.

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر ونقده ١/٣٠.

وعلي بن حمزة البصري (ت٣٧٥هـ) وغيرهما[١]، وقد بلغت شروح ديوانه أكثر من خمسين شرحا[٢].

ومن أشهر من شرحه: أبو الفتح بن جني (ت٣٩٢هـ)، والواحدي (ت٤٦٨هـ)، وشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، والعكبري (ت ٤٦٨هـ)، وناصيف اليازجي، وعبد الرحمن البرقوقي كما سبق في التمهيد.

وأحسن تحقيق لهذا الديوان تحقيق الأستاذ عبد الوهاب عزام، وهي نسخة عليها تعليقات من المتنبي نفسه، وتعليقات لابن جني، أثبتها عبد الوهاب عزام في الحاشية، وهي ذات قيمة كبيرة، وأكبر معين في فهم شعر المتنبي.

أغراض شعره[٣]:

أما أغراض شعره فهي كثيرة مثل: المدح والهجاء والفخر والوصف والغزل والرثاء والعتاب والحكمة، وبيان هذه الأغراض، مع ذكر ما يشهد لها من ديوانه فيما يأتي:

المدح:

يستحوذ شعر المديح على قسم كبير من ديوان المتنبي؛ لأنه شاعر مداح متكسب بشعره، وقد اختلف شعره فيه باختلاف البيئة، فشعره في الشام في بلاط سيف الدولة أسمى وأرفع من شعره في مصر وبلاد فارس، وأفضل شعره في المديح ما قاله عند سيف الدولة؛ لأنه كان يحبه وأعجب به، وشعره الذي قال في مدحه عقب المعارك الحربية تعد نموذجا رائعا للشعر العربي الرصين، ومن خير شاهد على ذلك قوله في وصف حدث القلعة وهو يمدح فيه سيف الدولة[٤]:

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقف ... كأنّك في جفن الردى وهو نائِمُ
تَمُرُّ بك الأبطال كَلْمى هزيمة ... ووجهك وضّاح وثغرُك باسِمُ
ضَمَمْتَ جناحيهم إلى القلب ضمّة ... تموت الخوافي دونَها والقوادمُ
بضرب أتى الهامات والنصر غائب ... وصار إلى اللبات والنصر قادم
عقرت الردينيات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتِمُ
ومن طلب الفتح الجليل فإنّما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارمُ

---

(١) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي ص٧٩٤.
(٢) تنظر شروح ديوان المتنبي في: أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين ص٧٨٤_٧٨٦.
(٣) ينظر: يتيمة الدهر ١/١٣٩وما بعدها، والخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي ص٣٢_١٨٥.
(٤) ديوان المتنبي ص٣٧٤.

ومن نماذج المدح عنده أيضا قوله في علي بن منصور الحاجب[١]:

هذا الـذي أبصرت منـه حاضرا مثلُ الـذي أبصرتُ منـهُ غائِبـا
كالبدر من حيـث التَفَتَّ رأيتَـهُ يُهدي إلـى عينيك نـورا ثاقبـا
كالبحر يَقْذِفُ للقريـب جواهِرا جودا ويبعـثُ للبعـيدِ سحائِبـا
كالشمس في كبد السماءِ وَضَوؤُها يَغْـشى البـلادَ مَشارِقا ومغارِبا

ونرى مديحه لسيف الدولة، أنه مصحوب بالعاطفة والإعجاب بالممدوح، وذلك مثل قوله ـ وهو يهنئه بالعيد ـ[٢]:

هو البحر غُص فيه إذا كان ساكنا على الدرّ واحذره إذا كان مزبدا
فإني رأيتُ البحـر يَعْثُـرُ بالفتـى وهـذا الـذي يأتـي الفتى متعمّدا
تَظَلُّ ملـوكُ الأرض خاشعةً لـه تُفـارِقُـهُ هـلكـى وتلقاهُ سُجَّدا
وتُحيي لـه المال الصوارمُ والقنا ويقـتُلُ مـا يُحيي التَبَسُّمُ والجدا

ومن سمات المديح لديه: المبالغة في وصف الممدوحين بالكرم وبالشجاعة وبعض الصفات الأخرى، وقد تصل هذه المبالغة إلى حد يتجاوز حدود المعقول وأحيانا حدود الشريعة، وذلك مثل قوله[٣]:

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحد فوقي وما أحد مثلي

وقوله[٤]:

أيَّ محـلّ أرتقي؟ أيَّ عظيـم أتقي؟
وكلّ مـا خلـق اللـــه ومـا لـم يخلقِ
مُحتقـر في همتي كشعرةٍ في مَفرقي

وقوله[٥]:

تجاوزت مقدار الشجاعـة والنهى إلى قول قـوم أنـت بالغيب عالِمُ

إلا أنه مما لاشک فيه أن شعره في المديح يعد نموذجا رائعا للشعر العربي، ولاسيما مديحه في سيف الدّولة الحمداني.

---

(١) ديوان المتنبي ص١٠٢.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٥٨.
(٣) ديوان المتنبي ص٧.
(٤) ديوان المتنبي ص٣٥.
(٥) ديوان المتنبي ص٣٧٨.

الهجاء:

الهجاء أحد الأغراض الشعرية التي تطرق لها المتنبي، وله فيه بعض القصائد والمقطوعات وورد جزء منه ضمن أغراض أخرى كالمدح والرثاء.

وقد تناول في هجائه بعض المعاني كهجاء بلد الممدوح والناس المحيطين به مثل قومه وغيرهم، وأحيانا يقتصر على هجاء الشخص، ويركز على صفاته وعيوبه الجسمية والخلقية كالبخل والجبن والعذر وغيرها، ويظهر في هجائه السخرية المُرّة من المهجوّ وبخاصة ما قاله في كافور.

ومن أشهر هجائه قصيدته التي قالها في هجاء كافور حين هرب من مصر، والتي مطلعها[١]:

عيدٌ بأيّة حالٍ عدتَ ياعيدُ　　　بِما مضى أم بأمرٍ فيك تَجديدُ

ومنها قوله[٢]:

إنـي نزلت بكـذّابيـن ضيـفـهـم　　　عن القِرى وعـن التِّرحال محدود
جودُ الرّجالِ من الأيدي وجـودهم　　　من اللسان فلا كانوا ولا الجـودُ
ما يقبض المـوت نفسـا من نفوسهم　　　إلا وفـي يـده مـن نتـنهـا عـودُ
صـار الخصـيُّ إمـام الآبقين بها　　　فالحـرّ مستعبـد والعبـد معبودُ
العبـد ليـس لحـرّ صـالـح بـأخ　　　لو أنّـه فـي ثيـاب الحرّ مـولـودُ
لا تشـتـر العبـد إلا والعصا معـه　　　إنّ العبـيد لأنجـاس منـاكـيدُ

ومن هجائه المرّ الشديد الفاحش قصيدته التي هجا بها ضَبّة العيني، والتي مطلعها[٣]:

ما أنصف القومُ ضبّة　　　وأمّـهُ الطُّـرطبّـة

الفخر:

يُعدّ غرض الفخر في شعر المتنبي أهم غرض يكشف عن شخصيته، وكوامن نفسه، ولقد أجاد المتنبي هذا الغرض لدواعي عديدة، منها:

١. طموحه الذي لا يحدّ.
٢. غروره الذي يتجاوز الوصف.
٣. اعتداده وثقته بنفسه.

---

(١) ديوان المتنبي ص٤٨٥.
(٢) ديوان المتنبي ص٤٨٦.
(٣) ديوان المتنبي ص٥١٤.

٤. محاولته تجاوز خمول والده.

٥. شعوره بموهبته وتفوقه ونبوغه وبصفاته الشخصية عموما.

وفخره يمثل الشعر الوجداني! ويعبّر عن شخصيته تعبيرا صادقا شفافا، فنحسّ في شعره في فترة الشباب بغروره وتعاظمه وتعاليه، ونجد فيه تلك الفترة التهديد والوعيد حتى للملوك والعظماء، يقول في ذلك[١]:

أمِطْ عنك تشبيهي بِما وكأنّه فما أحـد فوقي وما أحـد مثلي

ويقول[٢]:

أيَّ مَحـلٍّ أرتقـي أيّ عظيـم أتقـي
وكل مـا خلق الله ومـا لَـم يُخـلق
محتقر فـي هِمّتي كشعـرة في مفرقي

ومن نماذج الفخر عنده قوله وهو يفخر بنفسه، فيعلن عن كرم معدنها، وأصالة جوهرها[٣]:

وفي الجسم نفسٌ لا تشيبُ لشيبه ولو أنّ مـا فـي الوجه منه حِرابُ
لَهـا ظُفُرٌ إن كَـلَّ ظُفـرٌ أُعِـدُّهُ ونـابٌ إذا لَم يَبقَ فـي الفم نابُ
يُغَيِّرُ منّي الدهرُ ما شـاءَ غيرها وأبلغ أقصـى العُمرِ وهِـيَ كعابُ
وإنّي لَنَجمٌ تَهْتَـدي بِيَ صُحبَتي إذا حالَ مِـن دون النُّجومِ سَحابُ

وقوله وهو يفخر بشعره الذي يعتزّ به أيما اعتزاز[٤]:

وما الدَّهرُ إلا مـن رُواةِ قصائدي إذا قلتُ شِعْراً أصبـحَ الدَّهرُ مُنْشِدا
فسـارَ بـهِ مَـن لا يسيرُ مُشَمِّرا وغَنّى بـهِ مَـن لا يُغَنّـي مُغَرِّدا
أَجزنـي إذا أُنْشِدْتَ شعرا فإنّمـا بشعري أتـاكَ المادِحـونَ مُـرَدَّدا
ودَعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنّي أنا الصـائحُ المَحكِيُّ والآخَرُ الصَّدى

وكذا قوله[٥]:

ومـا قلتُ من شِعْرٍ تكادُ بُيوتُهُ إذا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ من نورِها الحِبْرُ
كأنَّ المَعاني فـي فصاحةِ لَفْظِها نُجومُ الثُّرَيّا أو خَلائِقُكَ الزُّهْرُ

---

(١) ديوان المتنبي ص٧.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٥.
(٣) ديوان المتنبي ص٤٧٩.
(٤) ديوان المتنبي ص٣٦١.
(٥) ديوان المتنبي ص١٧٧.

ومن الفخر عنده فخره بالحياة العامة، وصراعه فيها من أهلها، وما يقتضيه هذا الصراع من استعداد يضمن له المغامرة والنصرة.

وفخره في هذا الجانب كان مبنيًا على أساس الإبانة عن قدرته على مواجهة الحياة والناس؛ الحياة مهما كانت قاسية، والناس مهما كانت ضراوتهم.

ومن ذلك قوله في دفاعه عن نفسه ومهاجمة خصومه في وقت واحد، وكان يؤكد على موهبته الشعرية وعلى قدرته الذاتية في مواجهة الخصوم[1]:

أنا الّذي نَظَرَ الأعمى إلى أدَبِي ... وأسْمَعَتْ كَلِماتي مَن بهِ صَمَمُ

أنامُ مِلْءَ جُفوني عن شَوارِدِها ... ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاها ويَخْتَصِمُ

وجاهِلٍ مَدَّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي ... حتّى أتَتْهُ يَدٌ فرّاسَةٌ وفَمُ

إذا نَظَرْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً ... فلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ مُبْتَسِمُ

ومُهْجَةٍ مُهْجَتي مِن هَمّ صاحِبِها ... أدْرَكْتُها بجَوادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ

رِجْلاهُ في الرّكْضِ رِجلٌ واليَدانِ يَدٌ ... وفِعْلُهُ ماتُريدُ الكَفُّ والقَدَمُ

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ ... حتّى ضربتُ ومَوْجُ الموتِ يَلْتَطِمُ

فالخَيلُ واللّيلُ والبَيداءُ تَعْرِفُني ... والسّيفُ والرّمحُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ مُنفَرِداً ... حتّى تَعَجّبَ منّي القُورُ والأكَمُ

ويبقى غرض الفخر عند المتنبي من أوسع أغراض شعره، وأجملها وأصدقها تعبيرا عن خلجات نفسه، وتصوير الشخصية العجيبة المتميزة، وأوضح تصويرا لوجدانه الحيّ المضطرب، ولقد صدق القاضي الفاضل حينما سئل عن سبب انكباب الناس على ديوان المتنبي فقال: "لأن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس".

قال ابن الأثير -وهو السائل-: "ولقد صدق فيما قال"[2].

إلا أنه من الملاحظ في شعر الفخر عند المتنبي الغلو والمبالغة الممقوتة أحيانا، والخروج عن دائرة الشريعة الإسلامية، وهذا ملحظ ذميم يبقى عيبا على شعره.

الوصف:

يتميّز وصف المتنبي باهتمامه بالتعبير عن الحركات الداخلية، والذبذبات النفسية، وصورته لا تأتي جامدة؛ بل حية متحركة، وهو مطبوع بنفسه، فهو ينقل الحقائق والمناظر كما يحسّها، أو كما يريدها أن تكون، ومما تناوله المتنبي في الوصف وصف المعارك الحربية كما

---

(١) ديوان المتنبي ص٣٢٣.

(٢) الوشي المرقوم ص٥٧.

في السيفيات، ووصف بعض المناظر الطبيعية، وأحيانا يخرج المتنبي عن دائرة عامة الشعراء في الوصف، فيصف الحالات النفسية والمعاني العقلية، ويجعل ما يختلج في نفسه من الأمور كأنها أشياء حسية متحركة أمام عيون الناس.

ونحاول أن نتناول هنا أشهر أقسام الوصف عند المتنبي، وهي كالآتي:

١- وصف المعارك الحربية:

لقد أبدع المتنبي في وصف المعارك الحربية أيما إبداع، وجعلها صورا تتحرك أمام أعين الناس، ومواقف تضطرب بين أيديهم، ومشاهد تعرض تلقاء أنفسهم. فهو يصفها بعين الجندي المشارك في القتال، الملاحظ للأمور غاية الملاحظة.

وقد أشاد النقاد بتميز المتنبي بوصف المعارك، وبراعته فيه؛ يقول ابن الأثير ـــ وهو يذكر إبداع المتنبي في وصف مواقف القتال ـــ: "وأنا أقول قولا لست فيه متأثما ولا منه متلثما، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا ...، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة بن حمدان فيصف لسانه ما أدّى إليه عيانه"[١].

ومن النماذج الرائعة في وصف الحرب عند المتنبي وصف حدث القلعة وما آل إليه المنظر بعد انتصار سيف الدولة، وإكثاره القتل في عدوه، ومغامرته في ساحة القتال، وشجاعته فيها، وثبات جأشه، حيث يقول[٢]:

هل الحدث الحمراء تعرفُ لَوْنَهَا ... وتعلم أيّ الساقيين الغمائِمُ
سقتها الغمامُ الغُرُّ قبل نزوله ... فلمّا دنا منها سقتها الجَماجِمُ
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وموج المنايا حولَها يتلاطمُ
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تَمائمُ
وقفت وما في الموت شكٌّ لواقف ... كأنّك في جفن الرّدى وهو نائِمُ
تَمُرُّ بك الأبطالُ كلْمى هزيمة ... ووجهك وضّاحٌ وثغرُك باسمُ
نثرتَهم فوق الأحيدب نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهِمُ
تدوسُ بك الخيل الوَكور على الذُّرى ... وقد كثرت حول الوُكور المطاعِمُ

ومنه قوله وهو يصف خروج سيف الدولة الحمداني لغزو قبيلة بني كلاب[٣]:

---

(١) المثل السائر ٣/٢٢٧.
(٢) ديوان المتنبي ص ٣٧٥.
(٣) ديوان المتنبي ص ٣٧٠.

طَلَبْتَهُمُ على الأَمْواهِ حتّى تَخَوَّفَ أن تُفَتِّشَهُ السّحابُ
فَبِتَّ لَيالِيا لا نَوْمَ فيها تَخُبُّ بِكَ المُسَوَّمَةُ العِرابُ
يَهُزُّ الجيشُ حَوْلَكَ جانِبَيْهِ كَما نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ

٢- وصف المناظر الطبيعية:

لقد قلل المتنبي من وصف الطبيعة والمناظر الخلابة التي عاشها في بلاد الشام وبلاد فارس ومصر، ولم يكثر منه مع أنه قد تهيأ له ما يعينه على ذلك من القدرة الشعرية ومعايشة المناظر الطبيعية الرائعة.

ويعلل الدكتور طه حسين لذلك بأن البيئة الطبيعية لم تكن تؤثر في نفس المتنبي كثيرا؛ لأنه كان مشغولا بنفسه وبالناس..."[1].

ويقربنا الدكتور طه أبو كريشة إلى السبب بقوله: "وقد نقترب من تعيين السبب إذا رجعنا تلك الجفوة بين المتنبي وبين الطبيعة، إلى ما فطر عليه من طبيعة تشاؤمية تنظر إلى الحياة بمنظار قاتم؛ إذ ليس من السهل على من يغلب عليه مثل هذا الطبع أن تستهويه مظاهر الجمال، أو تبهره ملامح الإبداع في الكون إلا في فترات قليلة متباعدة تتحرر فيها النفس من سيطرة هذا الشعور، وتشرق عليها شمس الصفاء الروحي، فترى في كل شيء جمالا، وتكون على استعداد لتلقي إشارات الجمال وومضات الإبداع"[2].

ومن هنا نستطيع أن ندرك سر إجادة المتنبي فيما وصفه من المظاهر الطبيعية مع قلتها؛ فإنها قد تحررت نفسه في فترات قليلة عن هذا الشعور فأجاد ما أجاد من الوصف. أو نذهب إلى ما فسر به الدكتور طه حسين سر إجادته الوصف مطلقا بأنه ربما وصف المتنبي النجوم فأحسن الوصف، وربما صور الليل فأحسن التصوير، وربما أبدع في وصف وادي بوان، وربما برع في وصف بحيرة طبرية؛ ولكنه في هذا كله لم يكن يقصد إلى الوصف من حيث هو فن يطلب لنفسه ويتخذ إلى الجمال الخالص، وإنما كان يتخذ الوصف وسيلة إلى ما يثور في نفسه من العواطف والأهواء[3].

---

(١) ينظر: مع المتنبي ص٢٩١.
(٢) الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي ص٥٥.
(٣) ينظر: مع المتنبي ص٢٩١.

ومهما كان الأمر فقد أبدع المتنبي في وصف بعض المظاهر الطبيعية مع قلة هذا النوع في شعره، ومن النماذج الرّائعة الشهيرة في ذلك ما قاله في وصف شعب بوان، وقد ورد في مقدمة قصيدة مدح بها عضد الدولة البويهي، حيث قال(١):

مغاني الشعْبِ طيباً في المغاني ... بِمنْزِلَةِ الرّبيعِ من الزّمانِ
ولكنّ الفتى العَرَبِيّ فيها ... غريبُ الوجه واليدِ واللّسانِ
مَلاعِبُ جِنّةٍ لو سارَ فيها ... سُليْمانٌ لسارَ بتَرْجُمانِ
طَبَتْ فُرْساننا والخيل حتّى ... خَشيتُ وإن كَرُمنَ، من الحِرانِ
غَدَوْنا تَنفُضُ الأغْصانُ فيها ... على أعرافها مثلَ الجُمانِ
فسِرتُ وقد حَجَبْنَ الشّمسَ عنّي ... وجِبنَ من الضياء بما كفاني
وألقى الشرقُ منها في ثيابي ... دنانيراً تَفِرُّ من البَنانِ
لَها ثَمَرٌ تُشيرُ إليك منهُ ... بأشْرِبَةٍ وقَفْنَ بِلا أوانِ
وأمواهٌ تَصِلُّ بها حَصاها ... صليلَ الحلي في أيدي الغَواني

إلى أن قال(٢):

إذا غَنّى الحَمامُ الوُرْقُ فيها ... أجابَتْهُ أغانيّ القِيانِ
ومَن بالشِعْبِ أحوجُ من حَمامٍ ... إذا غنّى وناحَ إلى البيانِ
وقد يتقاربُ الوصفانِ جدّاً ... وموصوفاهُما مُتَباعِدانِ
يقولُ بشِعبِ بوّان حِصاني ... أعَن هذا يُسارُ إلى الطِعانِ

(يتبع)

***

(١) ديوان المتنبي ص٥٥٧.
(٢) ديوان المتنبي ص٥٥٨.

ركن الطلاب

الحسد أسبابه وعلاجه

عبدالفتاح عبدالودود
السنة الثانية للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

الحسد: تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد.[1]

وقيل: الحسد: تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها.[2]

مدارج الحسد وأحكامها: أما مراتب الحسد فأربع:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه، وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة، مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة، وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة، لا زوالها عنه، ومكروهه فقد النعمة، لا تنعم غيره بها.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها بل يشتهي مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه.

وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض.[3]

أسباب الحسد:

١– العداوة والبغضاء، فالعداوة تقتضي الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وهو الحسد.

٢– وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، وليس من غرضه أن يتكبر، بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد يرضى بمساواته مثلا.

---

[1] كتاب التعريفات للجرجاني: ٨٧.

[2] مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني: ٢٣٤.

[3] إحياء العلوم للغزالي: ٣/٢٢٧.

٣ – الكبر: كما قال تعالى على لسان قريش: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم).[١]

٤–الخوف من فوت المقاصد، وذلک يختص بمزاحمين على مقصود واحد.

٥–حب الرئاسة: كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون.

٦–خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله.[٢]

من مضار الحسد: حسرات الحسد، وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لشقائه شفاء.

٢–انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة لانحراف الناس عنه.

٣–مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا.

٤–إسخاط الله تعالى في معارضته واجتناء الأوزار في مخالفته.[٣]

أما طرق اجتناب الحسد: فمنها: اتباع الدين في اجتنابه والرجوع إلى الله تعالى في آدابه، فيقصر نفسه على مذموم خلقها، وينقلها عن لئيم طبعها.

ومنها: أن يستدفع ضرره ويتوقى أثره، ويعلم أن مكانته من نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد.

ومنها أن يساعد القضاء ويستسلم للمقدور.[٤]

بين الحسد والمنافسة: إنما المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم، والحسد مصروف إلى الضرر لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم.[٥]

والمنافسة سببها حب ما فيه المنافسة، فإن كان أمرا دينيا، فسببه حب الله تعالى وحب طاعته، وإن كان أمرا دنيويا، فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها.[٦]

والمنافسة ليست بحرام، بل هي إما واجبة، وإما مندوبة، وإما مباحة، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد، والذي يدل على إباحة المنافسة، قوله تعالى:

---

[١] الزخرف: ٣١.

[٢] إحياء العلوم للغزالي ٣/٢٣٧–٢٤٠ ملخصا، موارد الظمآن ٤/٥٩٣–٥٩٥ ملخصا.

[٣] كتاب أدب الدين والدنيا: ٣٢٨.

[٤] كتاب أدب الدين والدنيا: ٣٢٦–٣٢٧ ملخصا.

[٥] كتاب أدب الدين والدنياص: ٣٢٤.

[٦] إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢٣٧.

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون). [١، ٢]

وفي الغالب أن الحسد يكون بين النظراء والزملاء، وأرباب الصناعات والمراتب والمناصب الحكومية، فالتاجر يحسد التاجر وأرباب الجاه يحسدون أرباب الجاه، ومن الأمثال المتداولة، قولهم: "عدو المرء من يعمل عمله". [٣]

هذا، ونصوص القرآن والسنة وآثار سلف الأمة طافحة، زاخرة في تهجين الحسد وتشنيعه، وبيان نتائجه وعلاجه. وفي هذا يقول عز من قائل: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله). [٤]

وأيضا استقبحه حكماء الأمة وبلغاء هذه الملة، فقال بعض البلغاء: "ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود، نفس دائم وهم لازم، وقلب هائم. [٥]

وقال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. [٦]

وكذا استهجنه النبي صلى الله عليه وسلم وحرم علينا تعاطيه فقال: لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا. [٧]

وقيل: إن بضاعة إبليس خمسة أصناف يبيعها من قوم معروفين، منها: الحسد وأهله العلماء، والكبر وأهله الأنذال والسفلة. [٨]

نسأل الله تعالى أن يحفظنا من هذه الخصلة الذميمة وغيرها من الخصال الذميمة، ويوفقنا للعمل بكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والتسليم، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

***

---

[١] المطففين: ٢٦.
[٢] إحياء العلوم للغزالي ٣/٢٣٥.
[٣] موارد الظمآن ٤/٥٩٠.
[٤] النساء: ٥٣.
[٥] أدب الدين والدنيا: ٣٢٣.
[٦] أدب الدين والدنيا: ٣٢٤.
[٧] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ح: ٦٠٦٥، ص: ١٠٥٩.
[٨] موارد الظمآن ٤/٦٠٠.

من أخبار الجامعة السلفية

- **الدكتور عبد العزيز الفريح زائر للجامعة السلفية:**

تشرفت الجامعة السلفية بالترحيب بالضيف الكريم الدكتور عبد العزيز محمد الفريح، رئيس قسم السنة بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأخيه الشيخ عبدالرحمن الفريح، في ليلة الأحد الموافق ٨/٥/١٤٣٢هـ = ١٠/٤/٢٠١١م، وفي صباح اليوم التالي قام الضيفان بجولة على بعض أقسام الجامعة في داخل مدينة بنارس، مثل مدرسة المنار للبنين للعلوم العصرية، وكلية أمهات المؤمنين، والمبنى التجاري في شاع مدن فوره، ومبنى المتوسطة والثانوية الذي هو تحت البناء. وكذلك قاما بجولة في مبنى الجامعة الرئيسي على المكتبة العامة والفصول الدراسية لمختلف الأقسام والمراحل، وأعمال البناء الجاري تحت مسجد الجامعة.

وبعد ذلك قام الدكتور الفريح بإجراء المقابلة الشخصية مع طلاب الجامعة المرشحين للدراسة بالجامعة الإسلامية، وقد أبدى ثقته بمستوى الطلاب العلمي مقارنة بطلاب المعاهد التعليمية الأخرى بالهند.

وقد تم عقد حفل الترحيب بالضيوف الكرام في قاعة المحاضرات بالجامعة، حضره فضيلة رئيس الجامعة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، وفضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عبد الله سعود عبد الوحيد، وفضيلة نائب رئيس الجامعة الشيخ شاهد جنيد محمد فاروق، وفضيلة الشيخ أحسن جميل المدني، عضو مجلس الجامعة، وأساتذة الجامعة وطلابها وموظفوها.

وقد رحب فضيلة رئيس الجامعة بالضيوف الكرام، وقدم إليهم كلمة الشكر والامتنان على تجشمهم مشاق السفر وتشريفهم للجامعة بزيارتهم الميمونة، وألقى الضوء على العلاقات القديمة التي تربط بين الجامعة الإسلامية والجامعة السلفية.

ثم ألقى فضيلة الدكتور عبد العزيز الفريح حفظه الله كلمته، أعرب فيها عن سروره وسعادته بزيارة الجامعة ومشاهدة أعمالها وإنجازاتها، وقدم الشكر والتقدير إلى مسؤولي الجامعة وأساتذتها على الحفاوة والتكريم اللذين استقبل بهما في رحاب الجامعة، ونصح الطلاب بالجد والاجتهاد واغتنام الفرص والأوقات للتحصيل العلمي، وأوصاهم بتقوى الله عز وجل، والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحثهم على عمل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ومنوها بالصلة القوية بين

الجامعتين: الإسلامية والسلفية ذكر الدكتور الفريح أنه يعتبر الجامعة السلفية كفرع للجامعة الإسلامية بالهند، وهذا أمر يلقي على طلاب هذه الجامعة مسؤولية زائدة نحو الدين والعلم والدعوة.

وقد قام الدكتور الفريح بافتتاح جهاز "بروجيكتر" الذي تم تركيبه في قاعة المحاضرات حديثا للأغراض التعليمية والتربوية، ويستفيد منها الطلاب والزوار في مختلف النواحي بإذن الله تعالى. وبعد انتهاء الحفل توجه الضيوف الموقرون إلى المطار، وقد رافقهم كل من فضيلة رئيس الجامعة الدكتور جاويد أعظم، وفضيلة الأمين العام الشيخ عبد الله سعود، حفظهم الله.

- **حفل توزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين في مسابقات الخطابة والكتابة:**

في الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم الأحد الموافق ٢٧/٥/١٤٣٢هـ = ١/٥/٢٠١١م عقد في قاعة المحاضرات بالجامعة السلفية حفل توزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين في المسابقات السنوية للخطابة والكتابة لهذا العام، وذلك برئاسة فضيلة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم حفظه الله رئيس الجامعة السلفية، بنارس، بدئ الحفل بآي من الذكر الحكيم، تلاها الطالب حسان أبو المكرم، من السنة الثانية للعالمية، ثم ألقى فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني، شيخ الجامعة، كلمة تناول فيها بيان أهمية الخطابة والكتابة في مجال الدعوة إلى الله، وذكر أن "ندوة الطلبة" بالجامعة تولي عناية خاصة بهاتين الوسيلتين، فتعقد حفلات أسبوعية يتمرن فيها الطلاب على الخطابة بإشراف من أساتذة الجامعة، وتصدر كذلك مجلتين حائطيتين —عربية وأردية— طول السنة، ثم تعقد في نهاية العام مسابقات الخطابة والكتابة في كلتا اللغتين العربية والأردية.

ثم تحدث فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السلفي، الأمين العام للجامعة السلفية، وأعرب عن سروره واعتزازه بحضور هذا الحفل المبارك الذي عقد لتكريم الطلاب المتفوقين. وذكر أن الجامعة تسعى لتوفير كل ما في وسعها لإعداد الطلاب إعدادا جيدا، وتقويتهم في مختلف مجالات العلم والدعوة، كما أرشد الطلاب إلى بعض أساليب الخطابة وعدم الحماس الزائد عند إلقاء الكلمة سواء كان في المضمون أو في الإلقاء.

وبعد ذلك ألقى فضيلة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، رئيس الجامعة السلفية، ورئيس هذا الحفل، كلمته، فتحدث فيها عن أهمية الخطابة والكتابة، وذكر أسماء أهم الخطباء والكتاب الذين نالوا شهرة في هذين المجالين، وخدموا الدعوة والعلم والدين

بخطبهم أو بكتاباتهم. كما ركز على ضرورة تشجيع الطلاب الذين يرشحون أنفسهم للدخول في هذه المسابقات، ويبذلون جهودا مشكورة لإعداد كلماتهم ومقالاتهم، وحث رئيس الجامعة الطلاب على بذل مزيد من الجهد في هذا المجال، وعلى مشاركة الطلاب الآخرين أيضا في هذه المسابقات.

وبعد ذلك تم توزيع الجوائز النقدية والعينية على الفائزين بيد كل من فضيلة رئيس الجامعة، وفضيلة الأمين العام للجامعة، وسعادة الشيخ محمد قاسم، عضو مجلس الجامعة.

قام بالتقديم فضيلة الشيخ عبد الرحيم الرياضي، المدرس بالجامعة السلفية، وحضر الحفل إلى جانب مسؤولي الجامعة وأساتذتها وطلابها عدد من أهالي مدينة بنارس.

- **الاختبارات السنوية في الجامعة:**

تبدأ الاختبارات السنوية في الجامعة السلفية في يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٢/٦/٧هـ = ٢٠١١/٥/١١م، وتنتهي في يوم الأحد الموافق ١٨/٦/١٤٣٢هـ = ٢٢/٥/٢٠١١م، وتبدأ الإجازة الصيفية من يوم السبت غرة شهر رجب ١٤٣٢هـ = ٤/٦/٢٠١١م وتستمر إلى ٢٧/رجب ١٤٣٢هـ = ٣٠/يونيو ٢٠١١م، ويبدأ العام الدراسي الجديد بالجامعة من يوم السبت ٢٩/رجب ١٤٣٢هـ = ٢/يوليو ٢٠١١م، وتعقد اختبارات القبول لمختلف مراحل الجامعة وأقسامها في يوم الأحد ٣٠/رجب ١٤٣٢هـ = ٣/يوليو ٢٠١١ وتبدأ الدراسة النظامية بعد نهاية إجراءات القبول والتسجيل مباشرة، بإذن الله تعالى.

- **تمثيل الجامعة السلفية في الندوة العلمية بجامعة الفلاح:**

عقدت جامعة الفلاح، بلريا غنج، أعظم كره ندوة علمية بعنوان: "العلاقة بالقرآن: أهميتها ومقتضياتها" في الفترة: ٢٦-٢٨/٤/١٤٣٢هـ = ١-٣/ابريل ٢٠١١م، وبدعوة كريمة من مسؤولي الجامعة تشرف كاتب هذه السطور بحضور هذه الندوة، وقدم مقالا في إحدى جلساتها بعنوان: "دفاع عن القرآن: أهميته وأساليبه" كما سنحت له فرصة التحدث في الحفل الختامي للندوة.

(الأعظمي)

***